من روائع الأدب الإنجليزي

20 قصة قصيرة
تُنشر لأول مرة

أشرف عليها وأعدّها للنشر
محمد حامد

دار المحرر الأدبي

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

يشمل الأدب الإنجليزي ما يكتبه كُتَّاب من إنجلترا وأسكتلندا وويلز باللغة الإنجليزية في مجالات الشعر والنثر والمسرحية. وهو أدب غني بالروائع في مختلف المجالات الأدبية، كما أنه من أقدم الآداب الغربية.

الأدب الإنجليزي القديم (500 - 1100م)

استقرت القبائل الألمانية المعروفة بالأنجلو . سكسونية في إنجلترا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وعُرفت اللهجات التي كانت تتكلمها هذه القبائل باسم اللغة الإنجليزية العتيقة أو الأنجلو. سكسونية، وكانت هذه لغة الأدب حتى نحو عام 1100م.

وقد ركزت القصائد الإنجليزية القديمة على تمجيد الأبطال ومحاولة تعليم صفات مثل الشجاعة والكرم، ومعظمها لشعراء مجهولين. وتُعدّ القصيدة الملحمية بيوولف أول عمل رئيسي في الأدب الإنجليزي.

كتب معظم كُتّاب النثر باللاتينية حتى القرن التاسع الميلادي، حين ترجم ألفرد الأكبر ملك وَسِكس عدة أعمال من اللاتينية إلى الإنجليزية العتيقة، ومن أهم هذه الأعمال التاريخ الكنسي للأمة الإنجليزية (731م) للراهب بيدي، وهو أول سجل لتاريخ هذا الشعب ومصدر مهم عن حياته منذ نهاية القرن السادس إلى سنة 731م.

الأدب الإنجليزي الوسيط (1100-1485م)

استولى النورمنديون القادمون من فرنسا على إنجلترا عام 1066م؛ ومنذ ذلك التاريخ بدأ أفراد البلاط والطبقات العليا الإنجليز يتكلمون الفرنسية لمدة تزيد على مائتي عام؛ وبقيت الإنجليزية لغة الطبقة الشعبية.

في أواخر القرن الرابع عشر استعادت اللغة الإنجليزية مكانتها بوصفها اللغة القومية الرئيسية؛ ولكن في حُلة جديدة تسمَّى الإنجليزية الوسيطة. كانت هذه اللغة الجديدة مكونة من عناصر من الفرنسية واللاتينية والإنجليزية القديمة واللهجات المحلية.

نشوء قصص المغامرات الخيالية الإنجليزية (الرومانس). كانت هذه القصص مغامرات مكتوبة شعرًا، تتكلم عن المعارك والأبطال. نشأت في فرنسا خلال القرن الثاني عشر الميلادي. وفي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي أصبحت أكثر أنواع الأدب انتشارًا في إنجلترا.

في عام 1155م أكمل شاعر نورمندي، يُسمَّى ويس أول عمل يأتي على ذكر فرسان المائدة المستديرة تحت إمرة آرثر، الملك البريطاني الأسطوري. وقد أصبح الملك آرثر وفرسانه الموضوع المفضل في قصص المغامرات الخيالية الإنجليزية. وفي القرن الخامس عشر الميلادي، كتب السير توماس مالوري عملاً نثريًا يدعى موت الملك آرثر. وتُعتبر قصص مالوري أكثر مجموعة قصصية إنجليزية كاملة عن آرثر.

<u>عصر تشوسر.</u>

يعتبر جفري تشوسر أعظم كاتب في فترة الإنجليزية الوسيطة. إن رائعته ، حكايات كانتربري، التي كتبت في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، مجموعة من القصص الهزلية الهادفة. وقد مات تشوسر دون أن يكملها. يحكي المسافرون هذه القصص لتمضية الوقت وهم في طريقهم من لندن إلى معبد ديني، يُسمَّى كانتربري. وقد قدّم تشوسر في عمله هذا نموذجًا إيقاعيًا يسمَّى البحر العمبقي ذو التفعيلة الخماسية في اللغة الإنجليزية. تتكون هذه التفعيلة من عشرة مقاطع يكون الأول فيها غير منبور يتبعه واحد منبور وهكذا بالتتالي إلى آخر السطر. ويمكن لأبيات الشعر في القصيدة أن تكون مقفاة أو غير مقفاة. أصبح البحر العمبقي خماسي التفعيلة بعد تشوسر، واسع الانتشار في الشعر الإنجليزي.

<u>بداية الإنجليزية الحديثة (1485-1603م)</u>

بدأت الإنجليزية الوسيطة في الارتقاء إلى الإنجليزية الحديثة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. وفي نهاية القرن السادس عشر، كان الإنجليز يقرأون ويكتبون لغة شبيهة بالإنجليزية المستخدمة اليوم.

أنتج الكُتّاب الإنجليز في العصر الإليزابيثي الذي امتد من أواسط القرن السادس عشر إلى بداية القرن السابع عشر بعض أبرز الأشعار والمسرحيات المهمة في الأدب العالمي.

وقد ساهم العديد من التطورات في إمكانية تحقيق مثل هذا الإنتاج الأدبي الرائع في العصر الإليزابيثي. حدثت أهم هذه التطورات عام 1476م، عندما أنشأ وليم كاكستون أول مطبعة في إنجلترا. كانت الكتب قبل هذا التاريخ تنسخ باليد. وكان هذا العمل شاقًا وبطيئًا. أتاحت الطباعة إنتاج أعداد أكبر من الكتب بأسعار مخفضة جدًّا، مقارنة بتكلفتها قبل إنشاء المطبعة. وأدى انتشار الكتب الرخيصة بين الناس إلى تعلم القراءة. وبازدياد التعليم ازداد الطلب على الكتب.

انضم الأدباء الإنجليز إلى زملائهم الأوروبيين في القرن السادس عشر لإعادة اكتشاف الحضارتين اليونانية والرومانية القديمتين اللتين كانتا قد أُهملتا لعدة قرون. وقد تأثر الكتاب الإليزابيثيون بترجمات من الأدب اليوناني وخاصة أعمال أدبية رومانية. إضافة إلى ذلك، وجدت أنماط أدبية جديدة طريقها إلى الأدب الإنجليزي. مثال ذلك، اقتبس الكُتّاب الإنجليز بشكل مباشر أو مُعدّل. أشكالاً أدبية، مثل المقالة من اللغة الفرنسية والسوناته من اللغة الإيطالية.

وفي عام 1588م، هزم الأسطول الإنجليزي الأرمادا الأسبانية. وقد أدّى هذا النصر إلى بروز الشعور بالوطنية التي انعكست في الشعر والمسرحيات بشكل خاص.

كما اكتشف الإنجليز مناطق نائية من الكرة الأرضية واستعمروها، ونتيجة لذلك تدَّفقت الثروات من المستعمرات إلى خزائن الإنجليز. وفي هذه الأثناء ونتيجة لهذا التوسع، جعلت

طبقة من التجار من لندن مركزًا تجاريًا كبيرًا. وكان هؤلاء التجار مع طبقة من النبلاء يسعون وراء التسلية والفنون الجميلة، كما كانوا على استعداد لدفع أثمان باهظة لهذه التسلية والفنون الجميلة. وتوافد الكتاب والرسامون والموسيقيون على لندن، جاعلين منها مركزًا حضاريًا أوروبيًا.

الفن القصصي الإليزابيثي.

أنتج العصر الإليزابيثي أغلب الأعمال القصصية النثرية الأولى في الأدب الإنجليزي. وقد أحب القراء قصص الحب والمغامرات الخيالية الغنية بالتفاصيل.

ساعد جون ليلي على زيادة انتشار الأسلوب المصطنع المنمق جدًا في أوفيوس: تشريح الموهبة (1578م). وكتب السير فيليب سيدني أركاديا (1580م) مستخدمًا أسلوب ليلي. والعملان من الأعمال المسماة باستورلز، وهي قصص عن مغامرات الرعاة العاطفية. أما توماس ناش فقد كتب بأسلوب أكثر واقعية؛ وقد وصف مغامرات واحد من خدم الملك هنري الثامن في كتابه المسافر سيء الحظ (1594م).

العصر الأوغسطي (1750-1700م)

تُسمى فترة مابين عام 1700 إلى حوالي عام 1750م في الأدب الإنجليزي بالعصر أو العهد الأوغسطي، نسبة إلى فترة حكم الإمبراطور الروماني، أغسطس، الذي حكم من عام 27 قبل الميلاد إلى عام 14 بعد الميلاد، والذي وصل الأدب اللاتيني في عصره إلى أوج مجده بوجود شعراء مثل: فيرجيل وهوراس وأوفيد. وقد حاول الكتاب الإنجليز في هذه الفترة تقليد العديد من المُثل الأدبية والفلسفية لهؤلاء الشعراء الرومان. كما رأى الكتاب الإنجليز مثلما رأى الرومان القدماء بأن العقل والفطنة يجب أن يكونا مرشدي الأدب والحياة. لقد بذلوا جهدهم من أجل التوازن والتناغم في كتاباتهم. عُرِف العصر الأوغسطي في الأدب الإنجليزي أيضًا بعصر الكلاسيكية الحديثة (الكلاسيكية الجديدة).

ازدهار الرواية.

يعتبر تطور الرواية من أعظم إنجازات الأدب الإنجليزي. ويمكن العثور على جذور الرواية في كتب دانيال ديفو. فقد كتب ديفو قصصًا واقعية تتألف من حوادث مهلهلة تم سردها بوصفها حوادث حقيقية. إن كتابيه روبنسون كروزو (1719م) مول فلاندرز (1722م) تشبهان الروايات، غير أنهما يفتقران إلى الحبكة المترابطة المميزة لذلك النوع من الأدب.

يعتبر العديد من الأدباء رواية صمويل ريتشاردسون باميلا (1740م) أول رواية حقيقية في الإنجليزية. غير أن الكتاب وعظي وأسلوبه مهلهل نوعًا ما. وعلى العكس من ذلك، فإن روايات هنري فيلدينج وتوبياس سموليت تركز على الهزل اللاذع والهجاء. وقد سخر فيلدينج من باميلا في كتابه شاميلا (1742م). ربما كانت رواية فيلدينج المسماة توم جونز (1749م) أشهر رواية هزلية في اللغة الإنجليزية. ويعتبر النقاد رحلة همفري كلنكر (1771م) أحسن روايات سموليت. وكان لورانس ستيرن من كتاب الرواية الكبار في هذه الفترة، إذ أن روايته ترسترام شاندي (1760-1767م) لا تحتوي على قصة تقريبًا غير أنها مليئة بالنكات والتوريات المبهجة.

الأدب الرومانسي (1784-1832م)

استبدل كتاب أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين التناغم والاعتدال الأوغسطيين بالعاطفة؛ وفضّلوا الأسلوب الغامض "منذ زمن وفي بلاد نائية"، كما اقتنعوا بقوى الخيال المُبدع وتبنوا وجهة نظر شخصية جدًا عن العالم. كان هؤلاء الكتاب يُدْعَوْن الرومانسيين.

شعراء ما قبل الرومانسية. مجموعة من الشعراء الذين كانوا يمثلون جسرًا بين الكلاسيكية والرومانسية. نوهوا في العديد من كتاباتهم بالمشاكل الاجتماعية وحب الطبيعة التي أصبحت أكبر عامل مُميّز للرومانسية الإنجليزية. فوصف توماس جراي الخواء الذي يعاني منه عامة الشعب في قصيدته مرثاة كتبت في باحة كنيسة ريفية (1751م). وكتب وليم كوبر عن جمال الطبيعة ومقته للمدن في كتابه العمل (1785م).

كما كتب الشاعر الأسكتلندي روبرت بيرنز عن شخصيات ريفية مستعملاً اللهجة الأسكتلندية. ومن بين أشهر قصائده قصيدة الأيام الخالية (نحو 1788م) وقصيدة آتيا من بين الجاودار (نحو 1796م).

وكان وليم بليك أبرز شعراء فترة ما قبل الرومانسية. لم يكن عمله معروفًا في حياته؛ وقد جُمعت معظم قصائده القوية في مجموعتين شعريتين أغاني البراءة (1789م) وأغاني التجربة (1794م).

الشعر الرومانسي. كان وليم وردزورث وصمويل تايلور كولريدج أول شاعرين مشهورين في الشعر الرومانسي الإنجليزي؛ وقد ألفا معًا مجلدًا من الشعر يُدعى القصائد القصصية الغنائية (1798م). تعتبر مقدمة وردزورث للطبعة الثانية من الكتاب (1800م تقريبًا) دليلاً للشعر الرومانسي. بين في هذه المقدمة لماذا استخدم اللغة العادية بدلاً من اللغة الشعرية العالية التي استخدمها الكتاب السابقون مثل درايدن وبوب. كما بين أيضا سبب رغبته في الكتابة عن مواضيع متداولة وعادية، خاصة تلك التي تتعلق بالريف. عاش وردزورث وكولريدج في مقاطعة البحيرة الجميلة التي تقع في شمال غربي إنجلترا وكتبا بصورة مؤثرة عن جمال الطبيعة. يتميز العديد من قصائدهما المرسلة بأسلوب يحاكي الحياة العادية.

أتى اللورد بايرون ببطل يشبهه شخصيًا إلى حد ما في قصائد مطولة مثل حجة تشايلد هارولد (1812- 1818) وقصيدة دون جوان غير المكتملة (1819- 1824م). يمكن اعتبار بايرون مبتكر شخصية البطل المزيف لأنه تعاطف مع الثوار والخارجين على القانون وأنماط أخرى من الشخصيات التي طالما احتقرها المجتمع.

كان بيرسي بيش شيللي مثاليًا في فلسفته؛ كما كان مصلحًا اجتماعيًا. امتدح في قصيدته الطويلة، برومثيوس حرًا (1820م) الفرد الذي يقاوم السلطة الظالمة.

وكتب جون كيتس قصائد قوية مفعمة بالحيوية تتناول في معظمها موضوع الجمال وزواله المحتم. من بين أشهر أعماله: قصيدة الجرّة الإغريقية (1819م) وقصيدة من أجل العندليب (1819م).

النثر الرومانسي.

تضمن هذا النوع من الأدب مقالات ونقدًا أدبيًا ويوميات وروايات. يعتبر توماس دي كوينسي ووليم هازليت وتشارلز لام من أوائل كتَّاب المقالة في هذه الفترة. إن مقالة دي كوينسي اعترافات مدمن إنجليزي على الأفيون (1821م). نموذج للمقالة الشخصية جدًا التي كانت شائعة في الجزء الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. وكتب هازليت دراسات نقدية رائعة عن المسرحية الإليزابيثية. وقد ساعدت هذه الدراسات على إحياء الاهتمام بمسرحيات العصر الإليزابيثي. كما جُمعت مقالات لام الضاحكة الدافئة في مجلدين يعرفان باسم مقالات إليا (1823م) ومقالات إليا الأخيرة (1833م).

يظهر الأسلوب الشخصي للنثر الرومانسي في رسائل ويوميات العديد من الكتاب؛ فيوميات دوروثي وردزورث، أخت الشاعر وردزورث، مهمة بشكل خاص. لقد احتفظت بمذكرات تسجل الحياة اليومية في مقاطعة البحيرة أثناء الفترة التي كان أخوها وكولريدج يكتبان الحكايات الشعرية الشعبية الغنائية. تعطي هذه اليوميات سجلاً ساحرًا لعملية وضع هذا المجلد.

أصبح نوع من قصص الرعب يسمَّى الرواية القوطية شائعًا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين. تتناول معظم هذه القصص الأشباح وحوادث خارقة. وكتب هوراس وولبول أول رواية قوطية هي قلعة أوترانتو (1764م).

أعظم كاتبي رواية في العصر الرومانسي هما جين أوستن والسير وولتر سكوت. كتبت أوستن عن حياة الطبقة المتوسطة في المدن الصغيرة في منتجع باث المشهور. تتميز نساء أوستن في رواياتها، مثل الكبرياء والتحامل (1813م) و إمّا (1816م) بالاستقلالية والذكاء.

وكتب سكوت روايات تقع حوادثها في مرتفعات أسكتلندا أو أدنبره. إن سلسلة كتبه التي تسمّى روايات ويفرلي هي في الواقع أول روايات تاريخية في الأدب الإنجليزي. وقد أعلن موت سكوت عام 1832م نهاية العصر الرومانسي.

الأدب الفكتوري (1832-1901م)

أصبحت فكتوريا ملكة بريطانيا عام 1837م؛ واستمر حكمها، الذي يعتبر الأطول في تاريخ إنجلترا، حتى عام 1901م. وتعرف هذه الفترة بالعصر الفكتوري.

شهد العصر الفكتوري تغيّرًا عظيمًا في الاقتصاد والاجتماع والسياسة، حيث وصلت الإمبراطورية البريطانية إلى أوج عظمتها لتغطي حوالي ربع الكرة الأرضية. توسعت التجارة والصناعة بسرعة، وقطعت السكك الحديدية والأقنية المائية البلاد طولاً وعرضًا. وتَقدَّم العلمُ والتكنولوجيا، وكبر حجم الطبقة المتوسطة بشكل هائل. أخذ عدد المثقفين يزداد في الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي. إضافة إلى ذلك قدمت الحكومة إصلاحات ديمقراطية، فسمحت، على سبيل المثال، لعدد أكبر من الناس بالتصويت.

بالرغم من رخاء العصر الفكتوري، إلا أن عمال المصانع والمزارع كانوا يعيشون في فقر مدقع. وهذا ما دعا بنجامين ديزرائيلي، وكان من أشهر رؤساء وزراء هذه الفترة، إلى وصف إنجلترا ببلد الأمَّتين، واحدة غنية والثانية فقيرة. كما ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعض النظريات العلمية التي بدت وكأنها تتحدى التعاليم الدينية. وأكثر هذه النظريات مثارًا للجدل نظرية النشوء والارتقاء التي قال بها عالم الأحياء تشارلز داروين. قال داروين في كتاب أصل الأنواع (1859م) بأن كل كائن حي قد ارتقى من كائن آخر قبله. بناء عليه بدا وكأن داروين يناقض قصة الإنجيل عن الخلق، وهو. أيضًا. يخالف ماورد في القرآن الكريم عن خلق الإنسان.

تناول كتّاب العصر الفكتوري التباين بين غنى الطبقتين

المتوسطة والعليا وحالة الطبقة الفقيرة المُزرية؛ كما بدأوا في تحليل ضعف الإيمان بالقيم التقليدية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

أوليفر تويست رواية من روائع تشارلز ديكنز وقد هاجم فيها الظلم الاجتماعي في العهد الفيكتوري. يعكس هذا المشهد أوليفر وهو يستجدي رئيس دار الأيتام كي يعطيه مزيدًا من الطعام.

الأدب الفكتوري المبكر. يتضمن هذا الأدب بعض أشهر الروايات التي كُتبت في الأدب الإنجليزي. كتب معظم روائيي هذه الفترة أعمالاً طويلة تتضمن شخصيات متنوعة. وفي الكثير من الحالات، ضمَّن المؤلفون حوادث حقيقية في قصصهم.

تشتهر روايات تشارلز ديكنز بشخوصها الغنية والغريبة الأطوار في بعض الأحيان. ففي روايتي أوليفر تويست (1839-1837م) وديفيد كوبرفيلد (1849- 1850م) يصف ديكنز حياة أطفال حولتها قسوة الكبار وغباؤهم إلى جحيم. وصوّر ديكِنز الجانب المظلم للحياة في العصر الفكتوري في البيت الكئيب (1852- 1853م). إذ انتقد في هذه الرواية المحاكم ورجال الدين وإهمال الفقراء.

ألف وليم ميكبيس ثاكاري رائعة الفن القصصي الفكتوري المسماة دار الغرور (1848-1847م). تتابع القصة حياة العديد من الأشخاص في المجتمع الإنجليزي من مطلع القرن التاسع عشر في مراحل متنوعة من فترة ما قبل العصر الفكتوري.

تحتوي روايات الأخوات الثلاث لعائلة برونتي وهن إميلي وتشارلوت وآن على العديد من العناصر الرومانسية. وهذه الروايات مشهورة بسبب تصويرها حياة شخصيات معذبة نفسيًا على وجه الخصوص. ويعتبر النقاد رواية إميلي برونتي مرتفعات وذرنج

(1847م) ورواية تشارلوت برونتي جين إير (1847م) من أعظم الأعمال الروائية في العصر الفكتوري.

ألف العديد من الكتاب أعمالاً غير قصصية تناولت مساوئ العصر حسب اعتقادهم. مثالاً على ذلك، هاجم توماس كارلايل

الطمع والرياء الذي رآه في مجتمعه في كتاب سارتور ريسارتوس (1834-1833م). وبحث جون ستيوارت مل العلاقة بين المجتمع والفرد في مقالته المطولة عن الحرية (1859م).

الأدب الفكتوري اللاحق.

ظهر في أواخر القرن التاسع عشر أسلوب متشائم في الكثير من أفضل الأعمال الشعرية والنثرية الفكتورية، فقد بحث اللورد تنيسون مشاكل عصره الدينية والفكرية في قصيدته الطويلة للذكرى (1850م). وعبّر ماثيو آرنولد عن شكِّه في الحياة الحديثة في قصائد قصيرة مثل الغجري . العالم (1853م) وشاطئ دوفر (1867م). أما أكثر إنجازات أرنولد الأدبية شهرة فهي مقالاته النقدية عن الحضارة والأدب والدين والمجتمع. وقد جمع العديد من هذه المقالات في كتاب الحضارة والفوضى (1869م).

كان في مقدمة الروائيين الفكتوريين في هذه الفترة جورج إليوت (الاسم المستعار لماري آن إيفانز)، وجورج مرديث، وتوماس هاردي. تتناول قصص إليوت مشاكل عصرها الاجتماعية والأخلاقية. وتعتبر رائعتها ميدل مارش(1872-1871م) أفضل أعمالها. وتتميز روايات مرديث وأعماله الشعرية بقدرتها على تناول الشَّخصيات بطريقة نفسية ذكية. تتضمن أهم أعماله روايات محنة ريتشارد فيفاريل (1859م) والأناني (1879م) والسوناتات المتتالية الحب الحديث (1862م). وسيطرت روايات هاردي على الأدب الإنجليزي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. كتب هاردي قصصًا واقعية ينهزم فيها الأشخاص أمام الأزمات. لقد استخدم مناظر خيالية من منطقة وسكس لتساعده على تهيئة ذلك الجو التأملي الذي تتميز به رواياته مثل عمدة كاستربردج (1886م) وجودي الغامض (1895م). وكان هاردي شاعرًا موهوبًا أيضًا.

أدب القرن العشرين

أدب ما قبل الحرب العالمية الأولى. حصل العديد من المؤلفين على الشهرة خلال الفترة التي بدأت بموت الملكة فكتوريا عام 1901م وانتهت باندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م. كتب

العديد من هؤلاء روايات ومسرحيات في النَّقد الاجتماعي. وفي نهاية هذه الفترة رجع جماعة من الشعراء إلى قيم العصر الرومانسي، وأخذوا يكتبون أشعارًا بأسلوب وردزورث.

بعد موت فكتوريا، خلفها ابنها الأكبر على العرش باسم إدوارد السابع. ويطلق اسم الإدواردية على فترة حكم إدوارد (1901-1910). كان أهم الروائيين الإدواردیین آرنولد بنيت، وإتش. جي. ولز. ففي قصة الزوجات العجائز (1908م) وقصص واقعية أخرى كتب بنيت عن حياة الطبقة المتوسطة المملة في المدن الصغيرة في وسط إنجلترا. وأصبح ولز مشهورًا بسبب حرب العوالم (1898م) وغيرها من روايات الخيال العلمي. إضافة إلى ذلك فقد كتب أعمالا خيالية هجائية وسياسية. واستمر شو في مهاجمة القيم الاجتماعية في مسرحيات مثل ميجر باربارا (1905م) ومحنة الدكتور (1906م).

وكتب جوزيف كونراد البولندي المولد روايات نفسية ثاقبة عن مواضيع الجريمة والبطولة والشرف. ففي لورد جيم (1900م)، على سبيل المثال، وصف كونراد جهود رجل إنجليزي استمرت طيلة حياته لاستعادة إحساسه بالكرامة بعد أن ارتكب عملاً جبانًا في شبابه. وأصبح جون جالزورثي مشهورًا بسبب رواياته ومسرحياته الواقعية. وأكثر أعماله شهرة هو ساجا فورسايت (1906-1921) المكونة من ثلاث روايات عن حياة عائلة إنجليزية ترتفع للمجد والقوة.

مع بداية عام 1905م، كانت هناك مجموعة من الكتاب والفنانين تجتمع باستمرار في حي من أحياء لندن يُسمَّى بلومزبري للتداول في مسائل فكرية. كانت هذه المجموعة تسمى مجموعة بلومزبري. ربما كانت فرجينيا وولف أشهر كتّاب بلومزبري؛ ففي روايات مثل السيدة دالواي (1925م) وإلى الفنار (1927م) وصفت وولف حياة الطبقة الراقية من الطبقة المتوسطة بحساسية مرهفة، مستعملة تقنية تيار الوعي لتكشف عن خبايا أفكار شخوصها.

الفن القصصي بين الحربين.

ربما كان دي. إتش. لورنس أشهر روائيي الفترة مابين عامي 1910 و1930م؛ كتب عن العلاقة بين الرجال والنساء في رواية نساء عاشقات (1920م)، وروايات سيرذاتية أخرى. ووصف فورد مادوكس فورد التغيرات في المجتمع الإنجليزي بعد الحرب العالمية الأولى في سلسلة من أربع روايات سماها نهاية الاستعراض (1924-1928م). وكتب جراهام جرين عن أناس يشكون من مشاكل دينية أو أخلاقية عويصة في روايات مثل القوة والمجد (1940م).

كتب العديد من الكتاب روايات هزلية وهجائية. فقد هاجم إيفلين واو شباب الأزياء الحديثة والأغنياء في الأجسام العفنة (1930م) وحفنة من الغبار (1934م). كما سخر ألدوس هكسلي من مجتمع الأزياء الحديثة في الكروم الأصفر (1921م) والنقطة وأختها

(1928م). غير أن أشهر روايات هكسلي هي عالم جديد شجاع (1932م) التي يصف فيها مجتمعًا مستقبليًا مخيفًا يقضي على الذاتية والحرية الشخصية.

أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية. ظل بعض الكتاب ينتجون أعمالاً مهمة بعد الحرب العالمية الثانية تستكشف المستقبل وعوالم ومجتمعات بديلة. بدأ جورج أورويل مهنته الأدبية في الثلاثينيات من القرن العشرين؛ وأشهر رواياته هي رواية 1984 التي ظهرت عام 1949م. تصور هذه الرواية المخيفة مجتمعًا مستقبليًا يشوه الحقيقة ويحرم الأشخاص من التمتع بحياتهم الخاصة.

وفي الخمسينيات من هذا القرن عبرت مجموعة من الكتاب الشباب عن عدم رضاهم عن سياسة وثقافة وأدب إنجلترا. وُصف هؤلاء الشباب بالشباب الغاضبين. كان من بينهم الكاتب المسرحي جون أوزبورن والروائي جون برين. تصف مسرحية أوزبورن انظر وراءك في غضب (1956م) احتقارشاب من الطبقة العاملة لنظام الطبقات الإنجليزي. وفي غرفة على السطح (1957م) يصور برين

بطلاً طموحًا من الطبقة العاملة لا يحترم نظام حياة الإنجليز التقليدية.

كتب عدد من المؤلفين عن التغيرات في المجتمع الإنجليزي. فقد كتب السير تشارلز بيرسي سنو سلسلة من إحدى عشرة رواية سماها غرباء وأشقاء (1940- 1970م) عن تغييرات في نمط الحياة في الجامعات والحياة السياسية. وكتب أنطوني باول سلسلة من اثنتي عشرة رواية تدعى الرقص المصاحب لموسيقى العصر (1951- 1975م) عن حياة الطبقة المتوسطة في فترة ما بعد الحرب.

عبرت دوريس ليسنج عن اهتمامات النساء في روايتها المفكرة الذهبية (1962م). وقد برهنت ليسنج على قدرتها على كتابة رواية الخيال العلمي. واكتسب جون لوكاريه شهرته من رواياته المتعلقة بالجاسوسية، التي بدأها برواية الجاسوس القادم من الصقيع (1963م). وكتب جيه، آر. آر. تولكين عن مخلوقات تشبه الأقزام العفاريت دعاهم بالهوبت في روايات ثلاث متصلة بعضها ببعض هي سيد الخواتم (1954 - 1955م).

محمد حامد

obeikandl.com

obeikandl.com

كناريموت

و. ج. لونج

في الصيف الماضي ضربت خيمتي خلف عين ماء وسط الغاية، وكنت كثيرا ما أستلقي بجوارها لا لأشرب، بل لأكون بقربها برهة ألاحظ في هدوء حبيبات سيالها البارد تنسل من ثنايا أرضها السوداء، محوطة بفقاقع راقصة، ثم تضرب في زحمتها الدائمة نباتي السرخس والطحلب المحيطين بشواطئ العين، ومن حين إلى آخر كانت الحيوانات البرية تسمع نداء دعوتها الخافت لمن أحرقه العطش، فتأتي مسرعة مهطعة. ولكنها حينما تراني تتراجع إلى مرقبها من نبات السرخس. حيث تختبئ هناك متسمعة، ولكن الغدير الصغير يستمر في ندائه الخافت، فسرعان ما تخرج من مخبئها معتبرة إياي صديقا لها لطول جلوسي بقرب غديرها.

وفي ذات يوم ذهبت إلى الغدير، فرأيت على غصن شجرة دائمة الخضرة كنارا صغيرا طالما لاحظته من قبل مستريحا بجوار الغدير، أو متنقلا في دعة هادئة فوق الأعشاب السندسية، وخيل إلي أنه ما كان يأتي إلى هنا إلا لشغفه بحب الغدير مثلي، فنادرا ما رأيته يستقي منه، ولكنه كان دائما هناك، لقد كان كهلا وحيدا. وقد أخذ اللون الأغبر يغير على تاجه اللامع السواد، وأخرج له العمر الطويل قشورا كثيرة حول ساقيه، ولم يكن لتبين عليه الرهبة أو تتملكه رعشة الخوف. فكأنما بعث فيه كر الليالي وداعة الحياة، فكان يتحرك مبتعدا في أناة إذا ما اقتربت من مكانه، ولكنه لا يذهب بعيدا، وبلغت به الوداعة أنه كثيرا ما قاربني يظنني لاهيا عنه بتحديقي الدائم في الغدير.

واليوم قد جلس على هذا الغصن المعلق فوق مياه الغدير، في هدوء أكثر من هدوئه الأول، وكان وديعا مستسلما، حتى لم يبد

نفوراً حينما مددت يدي أتحسسه، بل اتكأ في سكون ودعة على إصبعي وأسبل عينيه في طمأنينة، ومضت نصف ساعة، وهو في حالته هذه مسرور يهتز مهوما من آن إلى آخر، فاتحا عينيه في فترات، محدقا بها في اتساع، كلما وضعت له على إصبعي نقطة من الماء الذي رواه صغيرا، وصاحبه كبيرا. ولما أقبل المساء وصمتت ألسنة الغابة واستولى عليها سكون موحش، وضعته في رقة ولطف على الشجرة الفينانة؛ حيث راح في سبات عميق قبل أن أوليه ظهري، وفي الصباح كان موقعه أقرب إلى الغدير الحبيب، وعلى غصن دني من غصنه بالأمس، واستكان مرة أخرى في كنف أصابعي، ورشف في امتنان قطرات الماء من فوق أناملي.

وفي المساء وجدته ناشبا بحذر من جذور شجرته المعهودة، وقد تدلى رأسه إلى أسفل، وعلقت مخالبه بلحاء الجذر علوقاً أبديا، وقد لمس منقاره في خفة ذلك الماء النمير، وقد فتح فكيه قليلا للمرة الأخيرة، وراح في سبات دائم آمن، بجوار الغدير الذي عرفه طوال حياته. وظل بجواره إلى أن لفظ الروح في جنباته؛ بجوار الغدير الذي قبلت مياهه منقاره قبلة الوداع، وحفظت صورته في أعماقها إلى اللحظة الأخيرة.

لقد ذهب هذا الكنار كما يذهب أغلب سكان الغابة في هدوء وفي أمن، بجوار الغدير الذي عاش على حبه، ومات بقربه. وليست قصته إلا مشهدا من فصل الموت في رواية الغابة يتجدد دائما باستمرار: فحين يحس الحيوان بغريزته تدفعه إلى البعد عن رفاقه، يمعن في البعد حتى يصل إلى غدير أحبه، ويرقد هنالك مختفيا في انتظار الراحة القادمة، وحينما يأتيه الموت لا يظنه إلا غفوة تأخذ تعبه معها، ثم يعود بعدها حرا طليقا، وهناك في رقدته الأبدية تخفيه أوراق الأشجار، التي ألفها وألفته؛ عن أعين أصدقائه وأعدائه على السواء...

دفاع الشيخ عن عرضه

سيرجون وارد

جلس لورد آشلي أوف بلاكبوري كاسل وهيلدا بريكفيلد وارثة بارون أوف كليرمونت، ينظران إلى الشفق، وقد توارت الشمس بالحجاب، وقد هبط عليهما وحي الحب، وسرت فيهما نشوة الغرام، إذ رآهما الشفق ضجيعي لذة وصبوة، وكان لكل منهما ما ذكره بماضي مباهج الحياة. وكانا مجتمعين خلسة في غيبة والدها بارون أوف كليرمونت الذي كان يعارض في زواجها من حبيبها لورد آشلي، الشاب الذي قضى معظم شبابه في المغامرات والفروسية، ومناصرة الملك شارل على ويليام أوف أورانج، الذي غزا البلاد، واغتصب العرش والتاج. وإذ كانت الفتاة والفتى يرتشفان كأس السعادة في تلك الخلوة التي كانت حلماً من الأحلام، فزعت واستيقظت من غفوة الهناء، على غير انتظار. وماذا رأت؟ ويا هول ما رأت! أي عينين هاتان البراقتان؟ هما حقاً عينا أبيها البارون الشيخ نصير ويليام أوف أورانج، وأحد أبطال الموقعة الحاسمة التي خضبت دماء هاستنجز بالدماء، وأقصت الملك الشرعي عن البلاد. . . ثم صرخت اللادي الشابة ناهضة وخرَّت صارخة وقد تنازعها الحزن والفرح، وتوزعها الخوف والرجاء؛ وإنها على فرط حبها أباها لم تملك أن شعرت عند رؤيته بفزع ورعب منه وهو يراها بين ذراعي حبيبها الذي يبغضه ويمقته ويتربص به الدوائر، بعد أن أقصاها عنه وحرم عليها اللقاء، فثار لورد آشلي لصيحة حبيبته وأمسكها ساقطة ثم عمد إلى الجدار، فتناول حسامه بأسرع من اللمح ليحمل على الذي سبب كل ذلك الرعب. وكان البارون المسنُّ والشيخ الهم لا يزال صامتاً، فلما رأى الفتى يجرد حسامه ويستعد لنزاله ابتسم هازئاً وقال:

(إن بأدْنى مسمع مني ألوفاً يحملون البيض المشرفية، والسمر السمهرية، فضع سيفك يا فتى، ولا تكن غراً أحمق!)

وتشبثت اللادي هيلدا بآشلي وصاحت: (إنه أبي. . . فاركع له معي، لعله يغفر لنا ويصفح عنا - وكانت هذه علة رجائها - نعم! ما أراه إلا فاعلاً ذلك. . . نعم سيغفر لنا ويصفح عنا. . .) ثم استدارت نحو الشيخ النبيل وقالت له:

- (أبتاه! أخليق بك أن تجعل للخوف والشك في صدر ابنتك موضعاً ومجالاً؟ أخليق بك أن تدعَ الرعب يلاطم الأمل في فؤادي، وتترك الريب يزاحم الثقة في قلبي؟ أبتاه! اصنع بابنتك ما تشاء واعف عن هذا الغلام، فأنا التي أمَّنته وشجعته على هذا اللقاء!)

ولكن البارون الشيخ وقف ثابت الركن شامخ الأنف، أصيد مهيباً، وقور الجانب، محصن النفس من كل ما عساه يهجم على القلب من دواعي الحنان وعوامل الرحمة. وكان عدا ذلك المظهر قوي الصوت، سديد النظر، ساكن الأوصال - وهي علائم ضمير ليس بالساكن ولا الهادئ - وكذلك جعل يرنو إلى ابنته ولا يجيبها، ثم التفت إلى آشلي وكان الدم في وجنة الفتى يذهب ويجيء، وقد قام متأهباً للحملة على من عسى يلي دعوة الشيخ من خوله وجنوده وعسسه وأحراسه. وكانوا جميعاً أشداء ذوي بأس وأسر متين

وقال البارون كرة أخرى: ضع سيفك يا غلام، فقال الفتى: لا! مادام هذا الساعد مطلقاً! فابيضت وجنة الشيخ، لا رهبة ولا فزعاً، ثم استخرج من نطاقه مسدساً فقال: (على رأسك إذن دمك!) ثم أقبل يتأمل الزناد فألفاه صالحاً حديث العهد بالقدح. . . وبعد ذلك أقبل يُهيئه للرمية القاضية. . . وكان لتلك التهيئة صليل يخشى وقعه في الأذن وهو نذير الردى. تهيأ الشيخ للإطلاق، ولو أطلق لوقف شيئين معاً: حياة اللورد الشاب عاشق كريمته، وبراعة المؤرخ، كاتب هذه الأسطر، ولختم شيئين معاً: عمر الفتى وقصتنا التاريخية، ولكن هيلدا وهي أشد من أبيها عناداً وأنفذ صرامةً وأصعب شكيمة، ألقت بنفسها دون الغلام وصاحت:

(إذن إلى كبدي فلتسددن سهمك أو قذيفتك النارية، فتلتقي

جذوتان!. فإنها خطيئتي لا خطيئته، وما كان مجيئه هذا القصر عمداً، وإنما طوح به إليه القدر، بعد المعركة التي خرجت منها ظافراً، وأوردته صروف الزمان. وقد أعطيته ذمتي وعهدي، وما كنت قط للعهد بخافرة ولا للوعد بمخلفة. وإني لأحبه فوق ذلك، وأفديه بنفسي وأقيه بمهجتي. . . إنني يا والدي أعرف صرامتك، وأردت أن أعرفك صرامة ابنتك، وإن وراثتنا لا تكذب، والدم الذي يجري في عروقك وعروقي لا يخون!)

لقد كانت الفتاة منذ لحظة كلها رحمة ورقة ولين وطفولة بريئة ونعومة طاهرة، ساجية الطرف، خافقة الأحشاء، فإذا هي كلها جرأة وإقدام، راسخة الوطأة، سامية النظر، كأنها قدت من الصخر الأصم أو هي الطود الأشم!

وكانت هيلدا بريكفيلد بارونس أوف كليرمونت مديدة القامة، فأتلعت وتطاولت تعالياً وخيلاء. . . وصادمت لحاظ أبيها من لحظاتها بما هو أشد وأقسى، ولكنها لم تمد يداً لمنع الشيخ مما ظل يحاول، لأنها لم تخف عادية الردى، كأنها ترتاح لطارق الموت وتهش للأجل المتاح، وجعل الوالد ومن ولد يتبادلان النظر. فما كان أعجب قرب الشبه بينهما، يا لهما من أسد وفلذة كبده!

وتوقف البارون برهة، ثم رد سلاحه إلى نطاقه، ولكنه وقف يقذفها بنظراته كأنما يريد أن يفضي ببصره إلى مخبآت ضميرها ثم قال:

ما أنا من أراد بهذا الغلام سوءاً، وما أنا من جلب ما قد ترينه الآن من الشر والأذى، وقد يندر من يصاب بمثل ما نالني من انتهاك الحرمة والغدر فلا يسفك دماً ولا يزهق نفساً

بيدَ أني سأفعل الواجب وإن أخللت أنت به وأشأت أداءه. فليلقين حسامه وإلا ورأس أمك لأدعن رأسه على هذه الأرض تثب وتتدحرج وتصبغ الصخر باللون القرمزي

ثم رفع البارون بوقه إلى فمه فنفخ فيه، وإذا ببوق يجيبه من خارج القصر ودخل عشرون رجلاً مدججاً يعدون مسرعين على رأسهم قائد وصاح البارون (اقبضوا على الغلام أو اذبحوه.

واجتذب الشيخ الفتاة إليه بأسرع من لمح البصروحال الجند بينها وبين حبيبها فجاهدت عبثاً أن تتملص من قبضة أبيها. وكيف وقد كان التفاف ذراعيه حولها كالتفافة الأفعوان؟ وشد الجند على لورد آشلي شدة فارس واحد. ولكن آشلي حمل بالسيف على أولهم فشق كتفه وألقاه يتخبط في دمه، وعلى الثاني فشج وجنته. أما الثالث وكان سيافاً حاذقاً فقد جعل يروغ من ضربات قرنه اللورد الشاب حتى أصاب غرة منه فضربه فجندله صريعاً ينضح دماء من طعنتين إحداهما في الذراع والثانية في الرأس، ثم غَلُّوه حيث خَرَّ وأخذوه من الحجرة وأومأ لهم البارون الموتور أن امضوا به إلى الساحل حيث كانت سفن ترحل وتبحر فأودعوه زورقاً وأعملوا المجاديف حتى بلغوا السفن، وكانت منضودة صفاً فوضعوه في إحداها. أما الفتاة بعد أن رأت حبيبهاً جريحاً أسيراً، فقد غشي عليها، وما زالت في ذبول ونحول اثنتي عشرة ليلة ثم أسلمت الروح بلا أنَّة ولا زفرة.

obeikandl.com

مغامرات ممثل جوال

كوند سمث

أنا شديد الكلف باللهو أني وجدته، وإن النكتة البارعة وإن ألقيت في ثوب خلق، فهي أبداً حبيبة إلى نفسي. ذهبت منذ بضعة أيام إلى متنزه (سانت جيمس) في الوقت الذي يتركه زائروه لتناول العشاء. ولم يكن هناك سوى أناس قلائل ممن كانت تبدو على ملامحهم آثار الفقر والمسغبة، فخططت نفسي على أحد المقاعد، بينما جلس على الطرف الآخر من المعقد رجل في ثياب رثة جداً

ظللنا نهمهم ونغمغم ونسعل كما هي العادة في مثل هذه الحالة، وأخيراً اجترأت على الكلام مخاطباً إياه: (معذرة يا صاحبي، ولكن يخيل لي أن رأيتك من قبل. إن ملامح وجهك ليست غريبة عني). فأجابني قائلا: (أصبت يا أخي كبد الحقيقة. إن وجهي لا يكاد يجهله أحد، كما يزعم أصدقائي، وإن شهرتي في جميع أنحاء إنكلترا لا تقل عن شهرة الجمال والتماسيح. ولا يخفى عليك يا سيدي بأني كنت طيلة الست عشرة سنة الأخيرة، أقوم بدور البهلول في فرقة تمثيلية، ولقد نشب بيني وبين أستاذي خلاف افترقنا على أثره فراح هو ليبيع أشياءه في شارع (روزماري) وأنا جئت لأموت جوعاً في متنزه (سانت جيمس).

(يؤسفني جداً يا سيدي أنك تعاني كل هذا الضيق، وأنت على ما أنت عليه من نباهة الذكر وذيوع الصيت). فرد علي مواصلا الحديث: (نباهتي في خدمتك يا مولاي، ولكن على الرغم مما أنا عليه من إملاق، فإن ثمة قليلا من الناس هم أمرح مني نفساً، فلو قدر أن يكون لي عشرون ألفاً من الدنانير لكنت من أسعد الناس. وأنا الآن، والحمد للمقادير، لا أملك فلساً واحداً، ومع هذا، فإني لا أزال سعيداً، ذلك لأني لا أقيم وزناً للمال، فهو عندي وسيلة

لا غاية، فإذا ما حرمته لا أجد غضاضة من قبول دعوة الكرماء إياي للطعام. والآن ما رأيك يا سيدي في لحم حنيذ مع قدح من الشراب؟ فإن أنت أطعمتني اليوم، فلسوف أطعمك يوماً من الأيام عندما أجدك في المتنزه وأنت أشد ما تكون رغبة في الطعام، وليس لديك من المال ما تدفع به ثمن العشاء)

ولما كنت لا أبخل أبداً بدريهمات أنفقها في سبيل رفيق طروب قصدنا تواً حانة مجاورة، ولم تمض سوى دقائق معدودات حتى كان الطعام والشراب مصفوفين على المائدة أمامنا. وإنه لمن العسير جداً أن أصف مبلغ طربه وانشراحه لرؤية الطعام والشراب فقال: (أنا استمرئ يا سيدي هذا العشاء لأسباب ثلاثة: أولا: لأني أحب لحم البقر؛ وثانياً: لأني جوعان؛ وثالثاً: لأني أحصل عليه بلا ثمن؛ إذ ليس هناك أشهى من اللحم الذي لا ندفع ثمنه)

لم ينته من كلامه هذا حتى أقبل على الطعام والشراب بنهم فائق، فلما انتهى العشاء أشار إلى أن اللحم كان نيئاً، ثم استطرد وقال: (ومع هذا فقد وجدته لذيذاً سائغاً، ما أفسح حياة الفقير وما أعظم شهيته! نحن معشر الشحاذين لقطاء الطبيعة نهيم في كل سرح، ونأخذ الحياة على علاتها، فإن هي أقبلت علينا فرحنا بها واغتبطنا، وإن هي أدبرت عنا لم نشتك ولم نتذمر. أما الأغنياء، فالطبيعة تعاملهم كما تعامل الربة أولاد زوجها، فهم أبداً يرمون بها ساخطون عليها، أعطهم قطعة من غريض اللحم، فإذا هي عندهم صلبة عسيرة الهضم، أمزجها بالتوابل، حتى التوابل لا تستطيع أن تشحذ شهيتهم، على حين أن الطبيعة شديدة الحدب على الشحاذين ترعاهم بعنايتها وتكلؤهم برحمتها. إن الخمر المعتقة لأحلى مذاقاً من الشمبانيا... السرور... السرور... تلك هي فلسفتي في الحياة، وهي قطعة من لحمي ودمي، فإن فاض النهر وغرقت نصف أراضي (كورنول) ألفيتني مطمئن النفس مرتاح البال، إذ ليس لي أملاك هناك، وإن ساءت أحوال السوق وتدهورت الأسعار... نمت ملء جفوني، فما أنا ممن تهمهم هذه الأمور، إذ لست يهودياً). ولقد أغراني مرحه وخفة روحه، على

الرغم من فقره المدقع، أن أعرف شيئاً من حياته؛ فقلت ملتمساً منه تلبية طلبي فأجاب: (بكل سروريا مولاي، ولكن على شريطة أن نشرب قليلا لندفع عن أعيننا النعاس. لنشرب قدحا آخر قبل أن يهجم الكرى على أجفاننا. . . آه. . ما أجمل منظر القدح وهو ملآن!

(يجب أن تعلم إذن أني أنحدر من أرومة طيبة وأن أسلافي قد أحدثوا بعض الضجة في العالم، ذلك لأن أمي كانت تبيع (المحار) وأن أبي كان طبالاً. ولقد قيل لي إنه قد كان في عائلتي أيضاً بعض البواقين. فهل تراني بعد هذا مبالغاً إذا قلت إن قليلا من الأشراف يضاهونني في الحسب والنسب؟ ولما كنت الابن الوحيد لوالدي فقد أرادني، على أن أكون طبالاً مثله، وعلى الرغم مما كان يبذله معي الوقت والأناة، لتعليمي الأناشيد العسكرية، لم أتقدم خطوة واحدة، ذلك لأني لم أكن ميالا إلى الموسيقى، فانخرطت في الجيش وأنا في الخامسة عشرة من عمري. ولم ينقض يوم واحد حتى تبين لي أن كراهيتي لحمل البندقية لم تكن لتقل عن كراهيتي لدق الطبل، ذلك لأن الطبيعة قد أعدتني لأكون سيدا لا مسود. إن وجودي في الجيش يحتم علي إطاعة أوامر رئيسي التي يفرضها علي، وليست أوامره إلا ظلا لأهوائه ورغباته، وإنه لمن الأجدى على الشخص أن يطيع رغباته لا رغبات سواه.

(لذلك لم يمض وقت طويل حتى أصبحت ضيقاً بحياة الجندية شديد المقت لها فعولت على الاستقالة، ولكن الرئيس رفض استقالتي، لأني كنت طويل القامة مفتول العضل، فاسودت الدنيا في عيني ولم يبق أمامي إلا الاستنجاد بوالدي فبعثت إليه برسالة، كلها شكوى واستعطاف، طلبت فيها منه أن يجمع المبلغ الكافي لإخراجي من الجندية ولكن الرجل الطيب القلب كان شديد الولع بالخمر، كما كنت أنا حينئذ، (في خدمتك يا مولاي) وأن الذين شأنهم لا ينتظر منهم أن يدفعوا رسم التسريح من الجندية - وقصارى الحديث، لم يرد والدي على رسالتي البتة، ما العمل إذاً؟ قلت لنفسي: لما كنت لا أملك المال الكافي لشراء حريتي فما علي إلا أن ألتمس وسيلة أخرى وهي الهرب، وفعلا هربت.

وهكذا تخلصت من الجندية وبلائها فبعت ثيابي العسكرية واشتريت أسوأ منها وسلكت ما أمكن سبلا غير مطروقة. ففي أمسية يوم من الأيام، بينما كنت أدخل إحدى القرى، إذ أبصرت رجلا - علمت فيما بعد إنه قسيس القرية - قد وقع عن فرسه وغاص في الوحل. فتقدمت لمساعدته وانتشلته بمشقة فشكرني على صنيعي، إلا أني لحقته إلى داره إذ كنت أحب دائماً أن يشكرني الناس عند أبواب دورهم، فألقى على القسيس مائة سؤال وسؤال: أبن من أكون؟ ومن أين جئت؟ وهل أكون أميناً؟ فأجبته كما يحب مؤكداً له بأني لم أذق الخمر في حياتي قط (لي الشرف يا مولاي أن أشرب نخب صحتك)، وبأني من أتقى خلق الله نفساً وأرجحهم عقلا. وقصارى الكلام، لقد كان بحاجة إلى خادم فاستخدمني ولكني لم أعش معه إلا شهرين، ذلك لأنه لم يكن يحب أحدنا الآخر. فقد كنت أكولا وهو لم يكن يطعمني إلا ما يسد الرمق. وقد كنت مغرماً بالجواري الرعابيب على حين أن خادمته العجوز كانت شرسة الطباع قبيحة الصورة. ولقد تآمرا فيما بينهما على قتلي جوعا فعقدت العزم على أن أحول دون اقترافهما جريمة القتل. كنت أسرق البيض حال وضعه، وكنت أفرغ في جوفي ما يتبقى في قناني الشراب التي تقع في يدي، وكان كل ما أصادفه في طريقي من الأكل لابد أن يختفي في لمح البصر. وقصارى الحديث لقد رأيا أن لا فائدة من بقائي ففصلت صباح يوم من الخدمة ودفع لي ثلاثة شلنات وستة بنسات لقاء أجور شهرين كاملين.

(وبينما القس يعد الدراهم كنت أتهيأ للرحيل. كانت ثمة دجاجتان تبيضان فدخلت عليهما كالعادة وأخذت البيضتين. ولقد عز علي أن أفرق الأم وولدها فأخذت الدجاجتين أيضاً ووضعت الكل في حقيبتي وقفلت راجعاً لتسلم أجوري. فلما أزف الرحيل وقفت، والحقيبة على ظهري والعصا في يدي، أودع الشيخ والعبرات تنهمر من عيني. لم أبتعد عن الدار إلا خطوات حتى سمعت صوتاً من ورائي يصيح (اقبضوا على اللص) ولكن الصوت زاد في سرعتي فانطلقت كالسهم، وإن كنت أعلم علم اليقين أن

الصوت لم يكن موجهاً ضدي. ولكن مهلا. . . يخيل لي أني قضيت ذينك الشهرين بلا شراب. هات يا صاح، فإن الأيام عصيبة وليكن هذا الذي أحتسيه سماً في جوفي إن أنا قضيت شهرين آخرين من حياتي في ورع مصطنع وزهد سخيف.

(لم أترك خدمة القس حتى أخذت في التطواف، وبعد أيام من تجوالي عثرت على جوقة من الممثلين المتجولين فما رأيتهم حتى هفا لهم قلبي، ذلك لأن حبي للتشرد والمتشردين طبيعي لا تكلف فيه. كانوا منهمكين في ترتيب حقائبهم التي انقلبت في طريق ضيق فأخذوني خادماً لهم. كانت الحياة مع هؤلاء جنة حقا فهم لا ينفكون يغنون ويأكلون ويقصفون ويطوفون في آن واحد. وحياة الأنبياء ما كنت أحسبني أعيش قبل ذاك، فقد أصبحت من أمرح الناس طراً؛ وكنت دائم الضحك لسبب أو لغير سبب. ولقد أحبوني كما أحببتهم وكان لي، كما ترى، شأن كبير ولكني على فقري، لم أكن معتدلا في حياتي.

(إن حياة التشرد كما أسلفت أحب إلي من كل شيء في العالم. فاليوم حر وغدا قر، واليوم عسر وغدا يسر. آكل متى وسعني الحصول على الطعام؛ واشرب (القدح فارغ) متى وجدت الخمر إزائي. لقد وصلنا (تنتردن) ذلك المساء فاستأجرنا غرفة واسعة حيث عزمنا على إخراج رواية (روميو وجولييت) فقام بدور (روميو) أحد الممثلين من مرسح (دروري لين) وقامت بدور (جوليت) سيدة لم يسبق لها الظهور على المرسح، بينما أخذت أنا على عاتقي إطفاء الشموع. كان التمثيل بالنسبة لنا، رائعاً على الرغم مما كان ينقصنا من وسائل، فإن الثوب الذي كان يرتديه (روميو) كنا نقلبه على بطانته الزرقاء فيصلح لباساً لصديقه (مركوتيو) وأن قطعة من (الكرب) كبيرة كانت تكفي في آن واحد فستاناً (لجوليت) وغطاء للنعش. ولم يكن لدينا ناقوس فاستعضنا عنه بهاون استعرناه من صيدلية مجاورة ثم جمعنا عائلة صاحب الدار فدثرناهم بملاءة بيضاء لإكمال الموكب. وقصارى القول، لم يكن ثمة سوى ثلاثة ممثلين نستطيع أن نقول

بأنهم كانوا يرتدون ألبسة لا غبار عليها وهم الممرضة والصيدلي الجوعان وأنا. كان التمثيل، كما قلت، رائعاً؛ ولقد هتف لنا الجمهور طويلا، ولا عجب، فإن لسكان (تنتردن) ذوقا.

فإذا أراد الممثل الجوال لنفسه النجاح فما عليه - على حد تعبيرنا - إلا أن يبالغ في محاكاة الشخصية التي يقوم بتمثيلها. ذلك لأن مراعاة الدقة في الكلام والحركة ومحاولة إبراز الشخصية على صورتها الطبيعية لا يسمى تمثيلا ولا هو مما يأتي الناس لمشاهدته. أن الحوار الطبيعي الذي لا تكلف فيه هو كالسلاف الحلو المذاق ينحدر إلى الحلق بسهولة دون أن يترك وراءه طعماً، على حين أن الإمعان في المغالاة والمبالغة كالخل يثير الإحساس ويشحذ الذوق ولا يشعر به إلا شاربه. وعليه فإن رمت إرضاء الناس وجب عليك أن تصرخ وتتلوى وتتنطع بكلامك وتضرب جيوبك وتظهر أمام النظارة كأنك تعاني آلاماً مبرحة؛ فإن أنت عملت كل هذا فزت باستحسان الناس وأصبحت ممثلا يشار إليك بالبنان.

(ولما كان التوفيق حليفنا كان من الطبيعي أن أعزو قسما من النجاح لنفسي. لقد أطفأت الشموع؛ ودعني أقول لك إنه لولاي لفقدت القطعة نصف رونقها.

(ظللنا نمثل على هذه الصورة أسبوعين كاملين كانت الدار في أثنائها تكتظ بالنظارة. وقبل الرحيل بيوم واحد أعلنا على الملأ بأنا سنختم موسمنا بأعظم رواياتنا التي سنبذل في سبيل إخراجها كل ما لدينا من جهد ومال. ولقد كنا نعلق آمال جساماً فضاعفنا الأجرة. وبينا نحن في نشوة الأمل غارقون إذا بكبير ممثلينا يصاب بحمى صالب؛ فذعرنا وشق ذلك على جماعتنا الصغيرة فقررنا الذهاب إليه جميعنا لتوبيخه وزجره لمرضه في وقت غير مناسب كهذا، وخاصة لابتلائه بمرض قد يحتاج لمعالجته مالا وفراً. فانتهزت أنا هذه الفرصة وعرضت نفسي لأحل محله فقبلوني، فجلست تواً، والدور في يدي والكأس أمامي، (نخب صحتك مولاي) أدرس الشخصية التي سأؤدي الامتحان عنها غداً وأقوم بتمثيلها بعد ذلك بقليل.

(ولقد وجدت أن ذاكرتي تسعفني كثيراً وقت الشراب إذ تعلمت دوري بسرعة مدهشة فطلقت دور (إطفاء الشموع) منذ ذلك الحين لأن الطبيعة أعدتني لوظيفة أسمى من هذه وأشرف، ولقد قطعت على نفسي عهداً ألا أخيب ظنها بي.

(فلما كان الغد اجتمعنا لإجراء (البروفا) فأخبرت زملائي، وقد كانوا أساتذتي بالأمس، عن التغيير العجيب الذي طرأ علي وقلت: ليطمئن المريض في فراشه ولا يشقين نفسه في أمر الشفاء فإني سأقوم بدوره أحسن قيام، وسيدهش الناس من براعتي ونبوغي وليمت إن شاء فإني أعده بأنه سوف لن يفتقد.

(ابتدأنا بالبروفا، فرحت أتبختر أمامهم وألغط بكلام غير مفهوم فيعج المكان بالتصفيق والاستحسان وسمعت، أو يخيل لي أني سمعت صوتاً يقول: (ها قد بزغ نجم متألق في سماء التمثيل) فلم يعد الكون يسعني فقررت بيني وبين نفسي على أني لما كنت السبب في استدرار المال على الجمعية فيجب أن يكون لي في الربح نصيب، فأنشأت أخاطب الجماعة قائلا: (أيها السادة، إن الذي سأقوله لكم ليس أمرا أريد فرضه عليكم كلا. فلست والحمد لله ناكر للجميل إلى هذا الحد. ولكن لما كنتم قد تفضلتم علي بنشر اسمي في الإعلانات، وتلك منه لن أنساها ما حييت، فلا يسعكم والحالة هذه الاستغناء عني، ولذلك فإني أرجو أن تدفعوا لي جعلا أسوة بكم، وإلا عدت إلى دوري القديم وهو (إطفاء الشموع). لقد كان هذا الاقتراح شديد الوطأة عليهم، ولكن لابد مما ليس منه بد، فأذعنوا وأنوفهم في الرغام. فلما حان الوقت ولجت المرسح في ثياب الملك (بجازات) وحاجباي المقطبان قد شد طرفاهما بجورب دس في عمامتي ويداي المغلولتان تلوحان بالسلاسل. لكأن الطبيعة قد اختارتني لهذا الدور فقد كنت مديد القامة جهوري الصوت، وإن مجرد دخولي المرسح أثار عاصفة من الهتاف والتصفيق، فدرت بنظري على الجمهور مبتسما وانحنيت أمامهم انحناءة كاد فيها رأسي يلمس الأرض، فتلك عادة شائعة بيننا. ولما كان الدور عاطفياً للغاية، فقد أنعشت نفسي بثلاثة كؤوس

ملأى (الكأس موشكة على النفاد) من الكونياك. لله ما أروع الدور الذي قمت به! إن (تامرلين) يكاد يبدو ضئيلا بجانبي، وهو وإن كان صوته يرتفع أيضاً في بعض الأحيان، إلا أن صوتي كان يعلو عليه، كان لي ثمة مواقف كثيرة مجيدة، منها أني كنت أطوي يدي هكذا فوق سرتي، وهي عادة مستحبة في (دروري لين) وإذ أنا رحت في تعداد مزاياي لنفذت الكأس قبل أن أنتهي من سردها. وقصارى الكلام، إن تمثيلي كان أعجوبة الأعاجيب مما جعل أعيان البلد من الرجال والنساء يتهافتون على بعد انتهاء التمثيل لتهنئتي على نجاحي الباهر، فمنهم من مدح صوتي، ومنهم من أثنى على قامتي، ولقد سمعت امرأة العمدة تقول: (أقسم لكم بشرفي إنه سيصبح من أقدر الممثلين في أوربا، أقول ذلك عن علم ودراية، وإن لي في هذا الفن لذوقاً).

(إن المديح الذي يغمرنا به الناس في أول عهدنا بالتمثيل شيء طبيعي ومقبول ولا يقصد منه سوى التشجيع، ونحن نتقبله شاكرين، ونعده فضلا منهم علينا، أما إذا استمر المديح وكثر فنحن والحالة هذه نعتبره ديناً لنا عليهم نتقاضاه منهم بمقدرتنا ونبوغنا، وعليه عوضاً عن أن أشكرهم كنت في داخلي أثني على نفسي. ولقد طلب إلينا الجمهور إعادة القطعة للمرة الثانية فأجبناه إلى طلبه، وكان نصيبي من الثناء أكثر من ذي قبل

وأخيراً تركنا المدينة لنحضر سباقاً للخيل، وسوف لا أذكر (تنتردن) إلا انهمرت من مآقي دموع الامتنان والاحترام، ذلك أن السيدات والسادة هناك كانوا على جانب عظيم من الدراية بالتمثيل والممثلين. هات لنشرب، نشدتك الله نخب صحتهم؛ قلت تركنا المدينة، ولقد كان ثمة فرق عظيم بين دخولي إليها وخروجي منها، دخلت المدينة ممثلا حقيرا وخرجت منها بطلا كبيرا، تلك هي الحياة، تقبل يوماً وتدبر يوماً، وإن شئت لتوسعت في الموضوع ولذكرت لك شيئاً كثيراً عن تصاريف الزمان وتقلبات الأيام، ولكن ما لنا ولهذا، فإن إثارته، إثارة لكامن شجونا.

(انتهى السباق قبل أن نصل المدينة الثانية التي خذلتنا جميعاً،

ولكن ليس من السهل قهرنا، ذلك أننا عزمنا على أن نجرب حظنا عسى أن نظفر منها ببعض الذي ظفرنا به في المدينة الأولى. وقمت أنا بالأدوار الرئيسية وارتفعت فيها إلى الذروة كالعادة. وإني لا أزال أعتقد لو أن ملكاتي أعطيت ما تستحقه من العناية والرعاية لأصبحت اليوم من أبرز الممثلين في أوربا، إلا أن عاصفة هوجاء اقتلعتني من مهدي وردتني إلى مستوى الغوغاء، كنت أمثل دور السير (هاردي ولدير) فأدهشت السيدات ببراعتي وأطربتهن. فإن أنا أخرجت علبة النشق ضجت القاعة بالضحك، وإن أنا لوحت بهراوتي في السماء سرت في النظارة قشعريرة الخوف والفزع.

(وكان ثمة سيدة سبق لها أن تثقفت في لندن لمدة تسعة أشهر فأخذت تزعم لنفسها الإلمام بالمسائل الفنية مما جعلها قبلة الأنظار في أي محفل حلت. ولقد أخبروها عني وعن موهبتي ولكنها رفضت، أول الأمر، الذهاب لمشاهدة تمثيلي، زاعمة إنها لا تتوقع من ممثل جوال ضئيل الشأن مثلي أن يجيد التمثيل. ثم مالت بالحديث إلى الممثل الذائع الصيت (كاريك) فأطرته وعددت مزاياه وأدهشت السيدات بنبراتها العذبة وصوتها الرصين. ولقد أقنعوها آخر الأمر بمشاهدتي، وترامى إلي سراً أن جهبذة من أبرز جهابذة العصر في شئون المرسح ستحضر الحفلة المقبلة، ولكن ذلك لم يخفني فظهرت في ثياب السير (هاري) واضعاً يداً في جيب البنطلون والأخرى على صدري، كما هي العادة في (دروري لين). إلا أن النظارة، عوضاً عن أن ينظروا إلي، اتجهوا بأنظارهم إلى السيدة التي قضت تسعة أشهر في لندن، ليتلوا حكمها الذي إما سيرفعني إلى مصاف النابغين من الممثلين أو سيضعني إلى الحضيض. أخرجت علبتي، فأخذت منها نشقة، ولكن السيدة لم تحرك ساكناً وكذلك النظارة. فأخذت عندئذ هراوتي وأهويت بها على ظهر العمدة المهرب حتى تكسرت، فما تململ أحد، كأنما الوجوم قد نشر أطنابه على الحاضرين فدمدمت السيدة وغمغمت وهزت كتفيها استخفافاً، فحاولت بضحكي أن أفوز منهم ولو بابتسامة ولكن وجوههم الباسرة ازدادت إغراقاً في العبوس، فدارت بي الدنيا

وأصبحت حركاتي مصطنعة وضحكاتي (هستيرية). ومهما تكلفت إذ ذاك من المرح وخفة الروح، فإن عيني كانتا تفيضان بما كان يجثم على صدري من الهم والغم. وقصارى الكلام. لقد حضرت السيدة وفي عزمها إيذائي وقد فعلت، سامحها الله، وهكذا التفت شهرتي ونفذ شرابي بينما أنا لا أزال، كما ترى، حياً أرزق.

obeikandl.com

البجعة

بامبلا. هـ. جونسون

في اللحظة التي شاهدت فيها الطفلة ولاحظت هزالها وهي واقفة بجوار النافذة المستديرة، وبداها تعبثان بعنق التمثال الخزفي للبجعة البيضاء، أيقنت أنها ستصير حتماً من الجميلات عندما يكتمل نموها. ولم تكن قد شعرت بوجودي، فوقفت ساكناً بجوارباب الغرفة أتأملها في إمعان.

كانت سنها - على ما أعتقد - تتراوح بين الحادية عشرة وكانت - إذا عن لي أن أحكم عليها - أكثر شبهاً بوالدتها جلاديس من صورة أبيها توم، تلك الصورة التي شاهدتها معلقة في المطبخ. ولاحظت أن أطرافها نامية نمواً ملحوظاً، وعينيها واسعتان بالنسبة إلى وجهها، ترتدي مئزراً قديم الطراز أبيض اللون قصير الأكمام، يتحلى بزركشة وزخارف من (الدانتيلا) على حافته. وكان نظيفاً على خلاف ردائها الداخلي الداكن الذي كان يبدوا قديماً رثاً.

كانت الطفلة تحرك أصابعها بحنان على صدر البجعة وجناحيها. وبدت كأنها معجبة بذلك التمثال المصقول، فكانت تتأمله وكأنها خبيرة بفنه وجماله. وكان شعرها مشدوداً خلف جبهتها الصغيرة البارزة، وقد انعقد بشريط أبيض. ولعلي أحدثت حركة بسيطة، فقد التفتت الطفلة ناحيتي ونظرت إلي، ثم فارقتها في الحال روح الطمأنينة، ودفعت بالبجعة خلف ستار، ثم جعلت تمسح يديها في مئزرها - وكان في بياض الثلج - فتترك فيه أثراً خفيفاً من قذارة يديها. وبدت أسنانها من بين شفتيها وتراجعت كما لو أنها ستختفي كما (أليس) خلال المرآة.

ولم أتفوه بكلمة وأنا أتأمل ذلك الجمال المنتظر. حقاً، لقد كانت أكثر شبهاً بجلاديس من توم. كانت تشبه جلاديس التي كنت

أعهدها منذ زمن بعيد، لا تلك التي أعرفها الآن. ولم تصرف الطفلة عينيها عن وجهي، في الوقت الذي كانت فيه تتحسس الحائط خلفها، وتتحرك في تلصص بجواره وقد تصلب ظهرها. فقلت (تعالى. لا تذهبي) فشهقت شهقة قصيرة من الرعب، ولكني تقدمت إليها وقبضت على معصميها، وانحنت في ذات الوقت حتى صار وجهي في مستوى وجهها، وقلت (لا تهربي إني عمك (فيل)). وحاولت أن تبتسم في أدب ثم ارتجفت عضلة على ركن فمها بعد أن تلاشت ابتسامتها.

سألتها في رقة (لماذا تخافينني؟ إني أعرف والدتك منذ زمن طويل. وها قد مضت عشرون عاماً دون أن أراها. أليست تلك مدة بعيدة؟ لقد أخبرتني أن أحضر هنا لأشاهدك) وأضفت قائلاً حتى أجعلها تشعر بالسعادة (لأشاهد أي فتاة كبيرة لها).

وأومأت الفتاة برأسها في ضمت تشير إلى البجعة. فقلت (تمثال جميل، أيعجبك؟) فابتسمت.

قلت (ما اسمك؟) فلم تجب. قلت (أنت (آسي)) فهزت رأسها بالنفي في شدة وخوف ظاهر. وعجبت، ما الذي فعلته جلاديس حتى جعلت هذه الطفلة مرهفة الأعصاب تهاب الغرباء؟ وشاهدت جلاديس من خلال النافذة، واقفة عند مدخل الخباز، تسارع في شراء كعك للشاي، فقد كانت زيارتي لها فجائية، ولم يكن عندها ما تقدمه إلى، ولذلك قالت لي (ألا تستطيع أن تسلي نفسك مدة عشر دقائق يا فيل؟ يجب أن أستحضر العشاء لتوم. وإذا حضرت آسي قبل عودتي فعرفها بنفسك).

وقلت للطفلة (متى قدمت؟ لقد أخبرتني والدتك أنك ذهبت إلى الخليج).

فابتسمت كأنما سرت لقدومها إلى الدار على غير انتظار. فجأة أمسكت البجعة ودفعتها في يدي، ثم قالت (جميلة!) فوافقتها على ذلك. تذكرت رؤيتي لهذا التمثال منذ عشرين عاماً في الدار جلاديس القائم على قمة الجرف. وكانت البجعة قطعة أثرية نفيسة من الخزف.

ووضعت الطفلة يديها على كتفي، فركعت، وإذا بها تجلس على ركبتي، وهى تبتسم في وجهي، وكأنما توطدت الصلات بيننا. وأخبرتها بوجه الشبه بينها وبين والدتها، وحدثتها عن جمال أمها. وقلت أتعرفين أننا اعتدنا - أنا ووالدتك أن نذهب إلى الخليج، وقد حملنا معنا أدوات الشاي انقضي بقية يومنا هناك؟ وكنت أسبح حيث تقوم تلك الصخور الثلاثة في صف واحد، وأدعي بأني في يوم ما سأسبح وأسبح ولن أعود بتاتاً. ثم أختبئ في ذلك الكهف الصغير الواقع تحت الجرف مباشرة وأناديها مثل. . .) وبحثت عن كلمة لطيفة فقلت (مثل النورس)

وصفقت الفتاة، ثم عقدت يديها كما لو أنها تذكرت تحذيراً بألا تفض أصابعها مطلقاً.

وانتظرت متابعتي الحديث فقلت (ثم أسبح راجعاً فتعنفني، ثم ننفجر ضاحكين. . . كان ذلك منذ زمن بعيد).

فسألتني وهي ترفع إصبعها في حذر لتلمس قمة رأسي (وأين كنت؟) فاعتقدت أنها تعني (أين كنت هذه المدة؟) فأجبت (كنت في الخارج).

فبدت كأنها تفقه ما قلته. وكنت قد وضعت البجعة على الأرض بجواري فشعرت بها تنزلق عن ركبتي متجهة الوجه ثم عادتِ تجلس معي وانتظرت أن أفضى إليها ببقية الحديث، فقلت (إني لم أقابل والدك بعد، مع إني شاهدت صورته) فعبست فقلت (ولكني - سأقابله الليلة عندما يعود من عمله).

ووضعت الطفلة ذراعها حول عنقي، فشعرت بسرور عظيم يخالجني، وإذا بي أسألها (أية هدية تودين أن أبعث بها إليك؟) فابتسمت. فأردفت قائلاً (سأشتري لك واحدة مثلها من لندن، وسأبعث بها إليك في طرد مسجل ومدون باسم الآنسة آسي أون) فحركت رأسها في عنف، ثم أخفت وجهها بين يديها، وبعد لحظات نظرت إلي، وقد استعادت هدوءها السابق، ثم جذبت الشريط المعقود من شعرها، فانسدل بلونه الأشقر كلون الصباح على رمل الشاطئ الندي.

وسألت الطفلة (أتميلين إلي؟) فلمست خدي. ولاحت لي جلاديس مرة أخرى، تتحدث إلى جار لها خارج البوابة، وشاهدتها الطفلة فقفزت من ركبتي، وبدت كأنها خجلة أو خائفة. ثم اختطفت الشريط من يدي، وجمعت شعرها وعقصته، ثم ربطته، بالشريط ربطة غير متقنة في لهفة وكأنها تتوق إلى الرحيل. فسألتها إلى أين تذهبين؟).

وأشارت إلى جلاديس من خلال النافذة، ففتحتها وسألتها ما الأمر، فقالت (لقد نسيت المفتاح. أرجو أن تفتح لي الباب).

وعندما التفت حولي، وكانت الفتاة قد اختفت، فظننت أنها أسرعت إلى المطبخ تنتظر قدوم والدتها أو صعدت لتغسل يديها استعدادا للشاي، فقد لاحظت أنهما قذرتان وبهما خدوش كأنها حدثت أثناء محاولتها تسلق الصخور الزلقة التي حول الخليج وأحسست الخيبة، فقد كنت أود أن تراني جلاديس معها، فربما حدثتني بلهجة أقل خشونة من حديثها السابق، عندما ترى الوفاق الذي توطد بيني وبين الفتاة.

وفتحت الباب فدلفت منه جلاديس مجهدة وقالت (إني آسفة لتغيبي هذه المدة الطويلة يا فيل. إن هذا هو الضرر الذي يأتي من معرفة الناس للإنسان في الطرق، ولابد أن تقف وتحي عند كل ناصية).

وذهبنا إلى المطبخ وجعلنا أساعدها في فض حاجاتها وسمعتها تقول لي (كيف استطعت أن تجلس هنا وحدك؟). فقلت ضاحكاً: (لم أكن هنا وحدي. إن آسي كانت معي) فلم تفه بكلمة، فنظرت إليها فشاهدت في دهشة أن وجهها قد تقنع بقناع من الحيرة، فقلت (ما الأمر!؟) قالت (لا يمكن أن تكون شاهدت آسي. أنني قابلتها في طريقي وهي مقبلة من الشاطئ، وقد أرسلتها إلى محل لويز لتقص شعرها، وستحضر وقت تقديم الشاي).

وأحسست بشعور خفي من الرهبة يغزو قلبي، فقلت (ولكن، لا يمكن أن يحدث ذلك، لقد كانت تتحدث معي هنا، وكانت تجلس على ركبتي فقالت (ما شكلها؟) فجعلت أصف لها الطفلة بشعرها

المعقود بالشريط، ورداءها البني، ومئزرها الأبيض وقلت (وكانت تلعب بالتمثال الخزفي للبجعة البيضاء الموضوع على النافذة).

وهبت جلاديس واقفة، وقد تصلب جسمها، ثم صرخت صرخة مخيفة، وأمسكت بها قبل أن تخر ساقطة، وأجلستها على المقعد. وعندما فتحت عينيها نظرت حولها في ذهول ورعب ثم قالت (أغلق الباب والنافذة) وازداد شعوري بالخوف وخيل إلى بأن ظلاماً حالكاً قد خيم على جو الغرفة، لم أعهده فيها من قبل.

وقالت جلاديس (لقد رأيت مارجريت) واعتدلت في مقعدها وقد اتكأت على مرفقها تراقب الباب المغلق. وألححت عليها أن تفسر لي ما غمض من حديثها، وتخبرني به دون إبطاء. فقد كنت أود أن يطغى صوتها على أي صوت أتوقع حدوثه كوقع أقدام تسير في تؤدة وتردد على الدرج، واحتكاك يد صغيرة تستند على الباب، ولكنها ل تفه بكلمة. وبدافع قوي، تركتها وهى تبكي وتتوسل أن أظل معها، وذهبت إلى الغرفة الأمامية، وأزحت ستائر النافذة. كانت البجعة لا تزال في موضعها ولكني لاحظت فيها شيئاً لم ألاحظه من قبل. كان العنق يتصل ببقية الجسم بمسمار فضي لامع. واستمعت في سكون الغرفة إلى دقات قلبي، وأغمضت عيني وأنا أسير في الممر عائداً إلى المطبخ وجعلت أتحسس طريق بأطراف أصابعي دون أن أدرك ما الذي ألمسه. كانت جلاديس ما تزال متكئة على مرفقها، وقد بدت في عينيها دلائل الرعب والخوف. فقلت (من هي مرجريت؟) قالت (أنها ابنتك. أنت بعد فراقك الفجائي مباشرة. كانت طفلة جميلة. وكانت تعيش معنا - أنا ووالدتي - دون أن يعرف أحد عنها شيئاً، ولم نكن نسمح لها بالخروج فيما عدا الحديقة بعد الغسق. كان من الصعب أن نهدئ من حالها، فقد كانت دائمة اللهو والمرح، دائبة على اللعب والغناء. وكانت معجبة بالبجعة البيضاء وتحب أن تلهو بها، فتنهاها جدتها عن ذلك، لأن التمثال كان تحفة ثمينة. ولكن حدث في ذات يوم أن أسقطت البجعة فانفصلت رأسها. أظنك قد لاحظت المسمار المثبت في عنقها).

وكنت أعرف انه لم يكن هناك مسمار عندما كانت الطفلة

تداعب بأناملها الجميلة جسم البجعة المصقول.

واستطردت تقول (كانت والدتي ذات مزاج حاد، وكان من الصعب عليها أن تساعدني في ولادة ابنتي التي لا يعرف الناس عن والدها شيئاً، بل كانت تشعر بالعار من ذلك. ولم يكن يزور دارنا القائمة على الجرف هناك سوى اللبان وبائع الصحف. وعندما رأت والدتي البجعة المكسورة، انحنت على الطفلة، وقبل أن أمنعها، كانت قد لطمتها لطمة قوية على أذنها. ولم تكن والدتي في الواقع تعني أن تؤذيها، بل أرادت أن تلقنها درساً في الطاعة. وعدت مرجريت صاعدة إلى الطابق العلوي وهى تبكي وتنتحب، وشعرت بألم وارتباك من كل ما حدث فقد كنت مغرمة بالطفلة، حقيقة كنت احبها حباً شديداً. وفي تلك الليلة خرجت مرجريت من نافذة غرفتها وهربت ولا أدري كيف استطاعت النزول من ذلك الارتفاع، فقد كان من الصعب على طفلة مثلها أن تهبط على تلك النباتات المتسلقة الرفيعة.

وكدت أجن. ولم أجرأ على الحث عنها بحثاً دقيقاً خشية ألسنة الناس. على آية حال، مكثت طوال الليل هائمة عند الجرف. وفي الصباح عثرت على قطعة بيضاء من القماش ملتصقة على قمة إحدى الصخور الثلاثة، فنزلت ولا أدري كيف، فإني كما تعرف أخاف دائماً المرتفعات. كانت قطعة من مئزرها قد انحشرت بين نتوءين. فاستنتجت ما حدث. ومكثنا أسابيع ننتظر دون أن نجرؤ على التحدث، ولم نستطع النوم ليل نهار. وأخيراً وجدوا جثتها. كان قد لفظها البحر وقد ألقاها على الشاطئ على بعد أميال من هنا، في مكان لا أعتقد أننا ذهبنا إليه يوماً ما. ولم يتبينوا شخصية الجثة، فإنه لم يبق منها شيء عندما...)

وفجأة أمسكت بمعصمي وقالت: (ألا تسمع؟).

وكدت أموت رعباً وأنا أقول (ماذا؟). قالت (توم. أنه قادم. لا تخبره بشيء. قل إني مريضة. قل إنه أغمى علي. قل أي شيء...).

وسمعته وهو يفتح الباب. فقلت لها في سرعة (ولماذا احتفظت بالبجعة؟)

فنظرت إلي كأنها لا تعي ما أقول. ثم قالت (إنها تحفة قيمة. لقد كانت والدتي تقول أنها ثمينة) وجعلت عيناها تتطلعان إلى السقف والحوائط والأركان، كأنها لا تدري من أي فضاء في العالم قد يعود شيء إليها، شيء كان عزيزاً عليها، ثم فقدته إلى الأبد.

obeikandl.com

obeikandl.com

الصديق الصدوق
أوسكار وايلد

في صباح أحد الأيام أطل من جحره فأر ماء عجوز، ذو عينين لامعتين كالخرز، وشارب خشن أسمر، ذنب كأنه قطعة طويلة من المطاط الأسود، وكان يسبح حوله في الغدير أفراخ من البط ومعهم أمهم البيضاء الناصعة ذات السيقان الحمراء تعلمهم كيف يقفون في الماء على رؤوسهم، وتقول لهم من حين إلى حين (لا يمكن أن تعيشوا في جمعية راقية وانتم غير قادرين أن تقفوا في الماء على رؤوسكم.) ثم تريهم كيف يكون ذلك؛ ولكن الأفراخ لم يصغوا إليها، لقد كانوا صغاراً لا يدركون فائدة الحياة في الجمعية.

صاح فأر الماء العجوز - ما أعقهم من أولاد، أنهم ليستحقون الموت غرقا.

أجابت البطة - ليس الأمر كذلك، إن لكل امرئ بداية. . وإن الآباء ليصبرون طويلا.

فأر الماء - آه. . أنا لا أعلم شيئاً عن عواطف الآباء، إنني لست رجل أسرة، فلم لم أتزوج ولم أفكر قط في الزواج. الحب جميل إجمالا، ولكن الصداقة أسمى بكثير. في الحق أني لا أعرف ما هو أشراف ولا أندر من الصديق الصدوق.

سأل الطائر الصغير الملقب بالتفيفحة، وكان جالساً على شجرة الصفصاف وقد سمع المحادثة (ولكن بالله عليك قل لي ما رأيك فيما يجب أن يكون عليه الصديق الصدوق؟)

البطة - نعم هذا ما أردت أن أعرفه - وسبحت إلى نهاية الغدير ووقفت على رأسها.

صاح فأر الماء - ما أسخفه من سؤال! إني أريد من صديقي الصدوق أن يضر نفسه لينفعني.

قال العصفور الصغير وهو يطير فوق عسلوج ذهبي ويصفق بجناحيه الرقيقين (وماذا تفعل أنت مقابل ذلك؟)

أجاب فأر الماء - لا أفهم ما تعني.

العصفور - دعني أقص عليك حكاية في هذا الموضوع.

فأر الماء - وهل يدور حولي محور هذه القصة - إذا كان كذلك فأنا أصغي إليك لأني جد مولع بالقصص الخيالية.

العصفور - إنها تناسبك، وطار هابطا وحط على الشاطئ وأخذ يقص حكاية الصديق الصدوق.

الطائر الصغير - كان يعيش في أحد الأزمنة شاب نبيل يدعى (هانس)

فأر الماء - هل كان مشهوراً.؟

الطائر - كلا ما أظن أنه كان مشهوراً، اللهم إلا بقلبه الرحيم ووجهه الضحوك البشوش المستدير، لقد عاش في كوخه الحقير وحيدا وكان يشتغل كل يوم في حديقته التي لم يكن في القرية حديقة تدانيها في الجمال، فيها كان ينمو الزهر المنثور والورد الأحمر والورد الأبيض والأصفر والزعفران الليلكي والذهبي والبنفسج الأرجواني والريحان والياسمين وهكذا كنت تجد دائماً في الحديقة ما يقر العين وينعش الفؤاد.

وكان (لهانس) الصغير أصدقاء كثيرون، ولكن (هيو) الطحان الضخم الغني كان أكثر هؤلاء الأصدقاء وفاء وتضحية وقد بلغ من وفائه (لهانس الصغير) أنه لم يكن يمر بحديقته دون أن يعطف على الحائط ويقطف باقة أزهار كبيرة أو يجمع حزمة من الحشيش النظيف، وإذا كان الفصل فصل الأثمار ملأ جيوبه بالبرقوق والكرز.

وكان الطحان يقول: يجب أن ترتفع الكلفة من بين الأصدقاء الأوفياء، فيؤمن هانس الشاب على أقواله ويبتسم ويأخذه العجب كلما فكر أن له صديقا يحمل مثل هذه الأفكار النبيلة.

وكان الجيران أحياناً يتساءلون مستغربين: كيف أن الطحان الغني لا يعطي هانس شيئاً مقابل ما يأخذه منه في حين أن لديه

مئات من أكياس الدقيق مخزونة في مطحنته وعنده ست بقرات حلوب، وقطيع كبير من الغنم المكسو بالصوف، ولكن (هانس) لم يزعج نفسه بمثل هذه الافكار، ولم يكن ليسره شيء بقدر ما كان يسره أن يصغي إلى الأقوال الغريبة التي كان يذكرها له الطحان عن تضحيات الصديق الصدوق.

وكان هانس الصغير يشتغل في حديقته ويعيش جد سعيد خلال أيام الربيع والصيف والخريف، ولكن حين يأتي الشتاء وليس لديه ما يبيعه من أثمار وأزهار كان المسكين يتألم كثيراً من البرد والجوع، وكثيراً ما كان يذهب إلى فراشه دون أن يتناول شيئاً من الطعام اللهم إلا قليلاً من التين الجاف أو شيئاً من الجوز اليابس، وفي الشتاء أيضاً كان دائم الوحدة لان الطحان لم يكن يأتي ليراه في ذلك الفصل أبداً.

- ليس من الخير أن أذهب وأرى (هانس الصغير) (والثلج لا يزال على الأبواب) هذا ما كان يقوله الطحان لزوجه حين يكون الناس في اضطراب، علينا أن ندعهم فلا نزعجهم بزياراتنا هذا رأيي في الصداقة، واكبر ظني إني على صواب، لذلك فأنا سأنتظر قدوم الربيع وعندئذ أذهب لزيارته، وسيكون عندئذ قادراً على أن يقدم لي سلة كبيرة من أزهار الربيع!

أجابت الزوجة وهي ترتمي على المقعد الكبير إلى جانب النار- في الحق أنك كثير الاهتمام بغيرك، إنه ليسرني أن أسمعك تتكلم عن الصداقة دائماً. . إنني على يقين أن رجل الدين نفسه لا يتكلم بمثل كلامك الممتلئ علماً وحكمة.

قال أصغر أولاد الطحان - ولكن لا نطلب (لهانس الصغير) أن يصعد إلينا - إذا كان هانس الصغير في ضيق فأنا سأقدم له نصف ما عندي من ثريد، وأريه أرنبي الصغير.

صاح الطحان - يالك من ولد غبي. حقاً إني لا أعلم ما فائدة إرسالك للمدرسة، يظهر انك لا تتعلم شيئاً؛ لماذا؟ إذا أتى هانس الصغير إلى هنا ورأى نارنا الموقدة وطعامنا اللذيذ ودننا الكبير الطافح بالنبيذ الأحمر عندها يأخذه الحسد، والحسد هو أفظع

خلة يمكن أن تشوه طبيعة الإنسان، أنا خير أصدقائه وسوف أظل أرعاه بعنايتي وأحول دون دخوله في أية تجربة، وبالإضافة إلى ذلك فان هانس إذا جاء إلى هنا فقد يطلب مني أن أقرضه قليلا من الدقيق، وهذا ما لا أستطيعه، الدقيق شيء والصداقة شيء آخر ولن يجتمعا. لماذا! لأن الكلمتين تختلفان في التهجية ولكل منهما معنى خاص. كل إنسان يوافقني على ذلك (..

قالت الزوجة وهي تملأ كأسها بالجعة الدافئة: إن ما تقوله هو عين الصواب..

أجاب الطحان - يحسن بعض الناس التمثيل، ولكن قل من يجيد منهم الكلام، وهذا يعني إن الكلام أصعب من التمثيل وهو كذلك أجمل بكثير. ثم نظر بجفاء إلى ولده الصغير الذي جلس إلى المائدة منكمشاً مطرقاً برأسه، خجلا من نفسه.

سأل فأر الماء العجوز - أهذا ختام القصة؟

أجاب العصفور - طبعاً لا. هذا أولها...

فأر الماء - أنت إذن من الرواة القدماء، إن الرواية البارعة في هذه الأيام يبدأ روايته من نهايتها ثم يسير بالسامعين إلى بدايتها، تلك هي الطريقة الحديثة، لقد سمعتها من فم ناقد كان يسير منذ يوم برفقة شاب حول البركة، لقد تكلم بحماس جعلني أوقن بأنه على صواب خصوصاً وقد كان أصلع الرأس يضع على عينيه منظارين أزرقين. ولكن أرجوك أن تستمر في قصتك.

قال العصفور وهو يقفز حيناً على إحدى ساقيه وحيناً على الأخرى: وكان الطحان عندما ينتهي الشتاء وتبدأ أزهار الربيع تتفتح عن أكمامها الباهتة الصفراء يقول لزوجته بأنه ذاهب ليرى هانس الصغير

صاحت زوجته - ماذا! ما أطيب قلبك! انك دائم التفكير في الآخرين. هل أذكرك أن تأخذ السلة معك لتملأها بالأزهار.

وهكذا ربط الطحان شراع الطاحونة وهبط التل وبيده السلة

الطحان - صباح الخير، هانس الصغير.

قال هانس وهو متكئ على معوله ضاحكاً مل شدقيه: صباح

الخير.

الطحان - كيف أمضيت أيام الشتاء؟

هانس - بخير انه لكرم منك أن تسأل عني، كانت أياماً شديدة، ولكن ها قد أتى الربيع وأنا سعيد حقاً وأزهاري أخذت تتفتح.

الطحان - طالما تحدثنا عنك أيام الشتاء وتساءلنا كيف يكون حالك؟

هانس - هذا لطف منك، لقد كدت أظن وبعض الظن إثم انك نسيتني!

الطحان - هانس إني معجب بك. الصداقة لا تنسى أبداً وهذا هو سرها العجيب. . كم تبدو زهورك جميلة!!

هانس - حقا إنها لها منظراً بديعاً ومن حسن حظي أن لدي كثيراً منها، سأحملها إلى السوق وأبيعها إلى ابنة شيخ القرية وأبتاع بثمنها عربة يد.

الطحان - تبتاع عربة يد! ما أحسبك تعني أنك قد بعت عربتك، انه يكون إذن تصرفاً منك خاطئاً. .

هانس - هذا هو الواقع الذي أكرهت عليه. انك تعلم أن الشتاء كان على جد صعب، وإني لا أملك ما ابتاع به خبزاً، فاضطررت بادئ الأمر أن أبيع أزرار بذلتي يوم الأحد، ثم بعت سلسلتي الفضية فغليوني الكبير، وأخيراً بعت عربتي ولكنني مصمم أن أعود فأشتري هذه الأشياء كلها.

الطحان - هانس. سأقدم لك عربتي. صحيح إنها بحاجة إلى إصلاح، وقد ذهب أحد جانبيها وفي دولابها عطل بسيط. ولكن ساقدمها لك على رغم ذلك، فأنا أعلم أن هذا كرم عظيم مني، وان كثيرين من الناس سيظنون بي الغباوة لتفريطي في العربة، ولكني لست كباقي الناس، أنا أرى في مثل هذا الكرم روح الصداقة.

هانس الصغير - حسناً حقاً انه لكرم منك وطفح وجهه الضحوك المستدير سروراً. . إنني أصلحها بسهولة لان عندي لوح من خشب.

الطحان - لوح من خشب أنا بحاجة إليه لان في سقف مخزن

لحاصلات ثقباً كبيراً. انه لمن حسن الحظ انك نوهت لي بهذا اللوح الخشبي، عجيب حقاً، كيف ان العمل الصالح يلد دائماً عملا صالحاً لقد أعطيتك عربتي، والآن فانك تقدم إلي لوحك. نعم إن العربة أثمن بكثير من لوح الخشب ولكن الصداقة الحق لا تهتم بمثل ذلك، أرجو أن تحضره حالا.

هانس - بالتأكيد. وجرى إلى السقيفة وأخرج اللوح.

قال الطحان وهو ينظر إلى اللوح - انه ليس كبيرا جداً، إني لأخشى أن لا يبقى منه شيء لتصلح به العربة بعد أن أسقف مخزني ولكن ذلك ليس خطأي، والآن وقد قدمت لك عربتي الصغيرة، فأني متأكد بأنك ستقدم لي زهوراً مقابل ذلك. هذه هي السلة وإني أذكرك أن تملأها جيداً

قال هانس الصغير متألما - أملأها جيداً. .! (لان السلة كانت كبيرة جداً، وقد أردك انه أن ملأها فسوف لا يبقى لديه ما يأخذه إلى السوق، بينما هو يرغب أن يعيد أزراره الفضية)

أجاب الطحان - ما كنت أظن بعد أن أعطيتك العربة انه كثير على أن أسألك قليلا من الزهور. قد أكون مخطئاً ولكني اعتقد إن الصداقة، الصداقة الحق يجب أن تبتعد عن كل أنانية

صاح هانس الصغير - يا صديقي العزيز، يا أخلص صديق. لك الأمر على كل ما في حديقتي من أزهار، أني لأرغب في أفكارك السديدة أكثر من أزراري الفضية، وجرى فقطف كل زهوره الجميلة وملأ بها سلة الطحان.

الطحان - وداعاً هانس الصغير وصعد التل ولوح الخشب على كتفه والسلة الكبيرة في يده.

هانس - مع السلامة.

في اليوم الثاني كان هانس ينصب العليق حينما سمع صوت الطحان يناديه من الطريق فقفز عن السلم، وجرى إلى الحديقة وتطلع من أعلى الحائط لرأى الطحان وعلى ظهره سلة كبيرة ملآنة بالزهور

الطحان - عزيزي هانس الصغير هل تحمل لي هذه السلة إلى

السوق؟

هانس - إنني كثير الشغل اليوم. على أن أنصب كل العليق واسقي كل الزهور واحزم كل الكلأ.

الطحان - حسناً. أظن انه ليس من حسن الصداقة أن ترفض طلبي.

صاح هانس - آه لا تقل ذلك إنني لا أحب أن أعادي العالم أجمع، ثم جرى فأحضر قبعته وسار ينوء بالسلة الكبيرة

لقد كان يوماً لافحاً، وكان الطريق يعج بالغبار، وقبل أن يصل هانس إلى الكيلومتر السادس كان قد بلغ به التعب مبلغاً عظيماً وكان عليه أن يستريح، ولكنه استمر يسير بشاعة إلى أن وصل السوق بعد ان انتظر قليلا استطاع أن يبيع الأزهار بسعر جيد، حينئذ عاد إلى البيت حالا دون إبطاء لانه خاف إن هو تأخر قليلا أن يلقى اللصوص في الطريق.

قال هانس الصغير لنفسه وهو ذاهب للفراش (حقا لقد كان يوماً مزعجاً متعباً، وعلى كل فأنا مسرور لأني لم أرفض طلب الطحان وهو أخلص صديق إلي، وعدا ذلك فهو سيعطيني عربته)

وفي صباح اليوم الثاني نزل الطحان مبكراً ليأخذ زهوره، ولكن هانس الصغير كان لا يزال في فراشه من أثر تعبه.

الطحان - قبل كل شيء انك كسول جداً والكسل خطيئة عظيمة، وأنا لا أحب أن يكون أحد أصدقائي كسولا بليداً. لا ينبغي أن تتأثر من صراحتي، تأكد إني ما كنت لأرميك بهذه الكلمات الجارحة لو لم اكن صديقك، كل شخص يستطيع أن يقول كلاماً ليناً ويذكر أموراً مبهجة ويصانع ويخادع ولكن الصديق الصدوق يقول دائماً أقوالا لا تسر ولا يهمه أن هو آلم صديقه.

قال هانس وهو يفرك عينيه ويرفع عنه اللحاف - أنا متأسف جداً لقد بلغ من تعبي إن زعمت إني أستطيع البقاء في الفراش ولو قليلاً، والإصغاء إلى غناء الطيور. هل تعلم إني حين أصغي إلى الطيور اشتغل بنشاط عظيم؟

قال الطحان وهو يربت على ظهر هانس الصغير- أنا مسرور من

ذلك، لأني أريدك أن تأتي إلى الطاحونة حالما ترتدي ثيابك وتصلح لي سقف مخزن الحاصلات. مسكين هانس الصغير! لقد كان في نيته أن يذهب ويشتغل في حديقته لأن أزهاره لم تسق منذ يومين، وهو في نفس الوقت لا يحب أن يرفض طلب الطحان صديقه الصدوق، قال هانس بصوت المتهيب الخجل - هل تظن إني أكون مذنباً إذا اعتذرت لك بقولي: أني مشغول

أجاب الطحان - ما أظن إني طلبت منك أمراً خطيراً ثم اذكر إني سأعطيك عربتي وطبعاً إذا رفضت فأنا سأذهب بنفسي وأصلح السقف.

صاح هانس - آه ليس من الضروري.. وقفز من الفراش وارتدى ثيابه وصعد إلى مخزن الحاصلات حيث اشتغل هناك طيلة النهار حتى إذا غربت الشمس جاء إليه الطحان ليرى مالذي صنع.

صاح الطحان بصوت رقيق هل رتقت خرق السقف يا هانس الصغير؟

أجاب هانس - تماماً ونزل عن السلم

الطحان - آه لا يوجد عمل ألذ من العمل الذي يقوم به المرء للغير.

قال هانس وهو يمسح جبينها - بالتأكيد، إنها لفائدة عظمى أن أسمعك تتكلم، فائدة عظمى، ولكني أخشى أن لا يقدرلي أن أحمل مثل هذه الأفكار التي تحملها

الطحان - إنها ستأتيك ولكن بعد عذاب أعظم. عندك الآن تطبيقات في الصداقة وبعد أيام ستعرف نظرياتها أيضاً

هانس - سأعرف حقيقة نظريات الصداقة؟

الطحان - أنا لا أشك في ذلك، ولكن الأحسن الآن وقد أصلحت السقف أن تذهب إلى البيت وتستريح لأني أريدك منك غداً أن تسوق غنمي إلى الجبل. مسكين هانس لقد خشي أن يجيب بشيء، وفي صباح اليوم التالي أحضر الطحان غنمه إلى الكوخ فسار بها هانس إلى الجبل وقد كلفه أخذها والعودة بها يوماً كاملاً، وحين عاد كان منهوك القوى فنام على مقعد ولم يستيقظ حتى ساعة

متأخرة.

قال - سأتمتع بيوم مبهج في حديقتي وذهب في الحال ليشتغل لكن لم يستطيع أبداً أن يرعى زهوره لأن صديقه الطحان كان يأتيه دائماً ويرسله في مهمات طويلة أو يحضره ليساعده في المطحنة.

ومع الأيام كان هانس الصغير يزداد حزناً على زهوره، ولكنه كان يعزى نفسه بأن الطحان صديقه الصدوق.

وهكذا كان هانس يشتغل للطحان، وكان الطحان يذكر له كل الأقوال الجميلة عن الصداقة فكان ينقلها إلى دفتره ويراجعها في المساء شأن التلميذ المجتهد

وقد حدث في مساء أحد الأيام وقد كان هانس الصغير جالساً إلى جانب الموقد أن سمع صيحة شديدة عند الباب، وكان ليلة مزعجة الريح تصفر فيها وتزمجر حول البيت، فظن هانس أن الصوت صوت العاصفة ولكن حين أعقب الصرخة الأولى ثانية فثالثة قال هانس لنفسه! انه مسافر مسكين، وجرى نحو الباب فإذا بالطحان يحمل فانوساً بإحدى يديه وعصا ضخمة بالأخرى

صاح الطحان - عزيزي هانس الصغير، إنني في قلق عظيم لقد، سقط ولدى الصغير من أعلى السلم وأنا ذاهب إلى الطبيب، ولكنه يسكن في مكان بعيد جداً. ولقد فتقت لي هذه الليلة الرديئة فكرة حسنة وهي أن تذهب أنت بدلا عني. انك تعلم أني أريد أن أعطيك عربتي، ولذلك فأرى من العدل أن تقوم لي بخدمة مقابل ذلك.

صاح هانس الصغير - بالتأكيد. إن قدومك إلى كرم منك وسأنطلق حالا. ولكن يجب أن تعيرني مصباحك لأن الليلة مظلمة وأخاف أن أقع في الوادي.

أجب الطحان - إنني آسف جداً. انه مصباحي الجديد وخسارتي تكون عظيمة إن حدث له أي حادث.

صاح هانس الصغير - حسناً، لا بأس سأذهب بدونه وتناول معطفه الكبير وطاقيته القرمزية الدافئة، ولف لثاماً حول عنقه ثم سار. .

يا لها من ليلة مرعبة. . لقد بلغ من حلكة الليل أن هانس لم

يكن يرى إلا بشق النفس، وبلغ من قوة الريح أنه ما كان يقف إلا بكل صعوبة، وعلى كل فقد كان شجاعاً، وبعد مسير ثلاث ساعات وصل منزل الطبيب. فطرق الباب.

صاح الطبيب وهو يطل من نافذة غرفة النوم - من أنت؟

- أنا هانس الصغير يا دكتور.

- ماذا تريد يا هانس الصغير؟

- لقد سقط ابن الطحان من أعلى السلم ويرجوك أن تأتي حالا.

قال الدكتور - حسناً وأعد جواده وفانوسه ونزل إلى الطابق السفلي وسار في اتجاه منزل الطحان. وهانس الصغير قد دلف وراءه ولكن العاصفة أخذت تزداد قسوة وشدة، وأخذ المطر يتدفق كالسيل ولم يستطع هانس الصغير أن يرى أين يسير أو كيف يتبع الجواد، وأخيراً ضل الطريق وهام في المستنقع الممتلئ بالحفر العميقة، وهنالك غرق هانس الصغير المسكين.

وفي اليوم الثاني وجد بعض الرعاة جثته طافية في بركة كبيرة من الماء فجاءوا بها إلى الكوخ.

خرج كل الناس في جنازة هانس الصغير لانه كان مشهوراً لدى الجميع وكان الطحان أول المؤبنين.

قال الطحان - وحيث إني كنت أصدق أصدقائه فمن الحق أن أتقدم الجميع، وهكذا سار إلى صدر الحفل في معطف طويل أسود وكان بين الفينة والفينة يمسح عينيه بمنديل كبير

قال حداد حين انتهت حفلة الدفن والجميع في الفندق يشربون النبيذ المعتق ويأكلون الكعك المحلى - بالتأكيد أن موت هانس الصغير خسارة عظيمة للجميع.

أجاب الطحان - خسارة عظيمة لي بوجه التخصيص، لماذا؟ لأني كنت أريد أن أتفضل عليه بعربتي. والآن فأني لا ادري ما الذي افعله بها، أنها دائماً في وجهي في البيت وهي في حالة من العطل لا تساوي معها شيئاً إذا عرضت للبيع، سوف أحتاط بعد اليوم فلا أتبرع بشيء، بالتأكيد إن المرء يضره أن يكون كريماً.

قال فأر الماء بعد تردد طويل - حسنا.
قال العصفور - حسناً. تلك نهاية القصة
سأل فأر الماء - ولكن ماذا حدث للطحان؟
أجاب العصفور - حقاً لست أعلم ولا يهمني أن أعلم
فار الماء - إذن فأنت بطبيعتك بعيد عن الإحساس.
العصفور - أخشى أن لا تكون أدركت مغزى القصة.
صاح فأر الماء - لم!. ماذا؟. .
العصفور - لم تدرك المغزى.
فأر الماء - هل تريد أن تقول إن القصة لها مغزى
العصفور - بالتأكيد.
قال فأر الماء بلهجة الساخط - حسناً حقاً. . أظن أنه كان يجب أن تخبرني بذلك من قبل. . بالتأكيد كنت لا أصغي إليك وضرب الماء بذنبه، ورجع إلى جحره.

سألت البطة التي جاءت على أثر ذلك مجدفة - كيف رأيت فأر الماء، أن له ملاحظات بديعة.

أجاب العصفور - أني لأخشى أن أكون قد أزعجته، فقد قصصت عليه قصة ذات مغزى.

obeikandl.com

obeikandl.com

زوج آخر ساعة

ريس ديفز

نزلت مارية من غرفة نوم والدها وقالت لعمتها في هدوء وحزن كعادتها دائما:

لقد مات!

فرفعت عمتها (آن) عينيها من فوق الإنجيل الذي كان بين يديها، وفتحت فاها حتى آخره وقد انتابها فزع عظيم، ثم بحثت عن منديلها ومسحت به عينيها العجوزين اللتين لا تتسرب إليهما الدموع، ثم بكت وهي تقول:

إنهم يذهبون جميعاً قبلي!

وفتح مارية الدولاب وتناولت منه (التريكو) وجلست أمام النار كعادتها كل مساء، وأخذت تشتغل باهتمام برغم ضجرها وتعبها من السهر الطويل وعنايتها بالميت.

فنظرت إليها عمتها وهي تكاد تصعق من الدهشة، ودب في جسمها النشاط وصرخت في وجهها قائلة:

تحركي يا مارية، ليس هذا وقت (التريكو). اذهبي وابحثي عن الستائر لنغطي بها النوافذ. ويجب أيضاً أن نغير للميت ملابسه ونقوم له بكل ما يلزم.

على أن ماريا لم تتحرك، وبرغم أنها كانت منهوكة القوى كان يظهر عليها دلائل فرح مرير، فقد كان يبدو لها أنها تحررت مرة واحدة من قيود عنيدة مؤلمة، كانت تقول بصوت منخفض مخاطبة عمتها (آن):

- لقد كان والدي رجلاً قاسياً يا عمتي (آن)، وكان كل يوم عنده يوم أحد. لقد جعل من هذا المنزل (مدرسة يوم الأحد) وكم من مرات حقدت عليه وكرهته، وكانت والدتي تشبهه. وكنت أنا بين

الاثنين كأنني في جحيم لا يطاق

في أثناء ذلك كانت عمتها (آن) تصعد تنهدات الحزن والألم. قالت الفتاة:

إنها الحقيقة المرة، والآن وقد مات الاثنان فإني أستطيع أن أحكم عليهما. لقد جعلا مني فتاة عجوزاً لم تر من متع الحياة شيئاً. فكنت لا أعرف غير الإنجيل من الصباح وعند الظهر وفي المساء

وكانت الفتاة تتكلم بصوت ملؤه الحقد والعداوة، وكانت ترتعش حسرة على نفسها. كانت تفكر في تلك الجثة الراقدة في الطابق الأعلى والسخط مستول عليها. كانت تريد البكاء ولكن دمعة واحدة لم تجد بها عيناها. وكان وجهها الغليظ الذي بدا عليه الغضب والكبرياء منكباً على (التريكو) الذي بيدها. قالت:

والآن وقد ضاعت خير أيام حياتي في العمل في سبيلهما، فسأبقى بقية حياتي وحيدة، ولو كانا تركاني أخرج من المنزل لاستطعت أن أجد الفرصة لأتزوج

قالت عمتها:

مهلاً. إنك لا زلت في الثلاثين من عمرك، وفي استطاعتك الآن أن تجتهدي في إيجاد زوج لك. إنك يا مارية فتاة قويمة الأخلاق تحسنين الطهي. إنك لست كفتيات اليوم الطائشات، وهناك كثير من الرجال الذين يبحثون عن فتاة مثلك ليتزوجوها

واستمرت مارية تشتغل في صمت... ثلاثة وثلاثين عاماً! قبيحة المنظر غليظة الجسم منكسرة القلب! أي رجل ذلك الذي يريد مثل هذه الفتاة في هذه الأيام؟

وتملكها خوف عظيم وهي تشتغل، كم من الأشياء فقدتها في الحياة! لقد أدركت تماماً أنها كانت تعيش بعيدة عن عالم المسرات واللذات، والآن فات الوقت التمتع. ولكن ألم يعد هناك أمل في شيء؟ قالت الفتاة:

إنني أظن يا عمتي (آن) انه يحسن أن أبيع هذا المنزل وأقيم على ساحل البحر

فأجابت المرأة العجوز على الفور في غضب:

لا تبادري ببعثرة المال الذي تركه لك أبوك. هلا فكرت في؟

وأجهشت العمة بالبكاء:

ها هو ذا المال يا مارية قد ابتدأ يجعل منك فتاة منطفئة الآمال قاسية القلب. إنني أعرف نفسيتك الآن

وخرجت العمة لرؤية الميت. وابتدأت عينا ماريا الزرقاوان المنطفئتان تلمعان من جديد؛ إن التفكير في المال الذي ورثته وفيما يمنحه هذا المال من السلطان، قد جعل حرارة السعادة تدب في جسمها الغليظ. غير أنها كانت تود أن تكون أصغر سناً مما هي الآن. وكانت تعرف أيضاً أنها قبيحة المنظر

ودخلت العمة آن قادمة من غرفة النوم وهي تقول: لقد رحل إلى العالم الآخر. إن وجهه جميل وطاهر، والآن يا مارية أي مجنز نعهد إليه بالقيام بحفلة الجنازة؟

فأجابت مارية:

جون جونز. إنه أرخص من توماس إيفانز

ولكن إيفانز ممن ينتسبون إلى الكنيسة القديمة. إن الذين يحترمون أنفسهم لابد يفضلونه، وعرباته أيضاً أكثر جمالا. فقالت مارية بصوت الآمر:

ولكنني أفضل جون جونز. لقد كنت معه في المدرسة وكان دائماً معي رقيقاً

فأجابتها العمة آن وقد أخذها الغضب:

- إنه رجل أعزب طماع

وذهبت مارية وأحضرت الأقمشة البيضاء لتغطي بها النوافذ، وكان ذلك علامة على أن الموت قد عرف طريقه إلى المنزل. ولم تكد تمضي عشر دقائق على ذلك حتى كان سيل الجيران قد ابتدأ يتدفق ليروا الميت. وكانت العمة آن جالسة بجانب جثته. بينما كانت مارية في الطابق الأرضي تصغي بسخرية إلى كلمات المجاملة والعزاء التي يوجهها إليها الزائرون

قالت إحدى النساء:

ولكنك سوف تكونين في سعة من العيش، فلقد ترك أيضاً وراءه مقادير مخبأة من المال لا بأس بها. لقد كان دائماً متبصراً يا مارية. كان يشح من أجلك

فمطت مارية شفتيها بسخرية وابتسمت ابتسامة باردة وقالت:

إن كل ما هنا قد عاد إليَّ. ولكنك عديمة الفطنة يا مسز هاولز. إنك تفكرين دائماً في المال

آه! مثلك أنت. إنه يبدو عليك أنك فتاة غير طبيعية من كل الوجوه يا مارية، ألا تذرفين دمعة واحدة على أبيك المسكين؟ ها أنت جالسة ككتلة من الثلج، لا تعرفين الكلام إلا في كل ما لا يتفق مع الموقف الذي أنت الآن فيه!

وكان الجيران خارج الغرفة يتكلمون عن عدم تأثر الفتاة وجمود عينيها اللتين لم تعرف الدموع اليهما سبيلاً؛ ولكن مارية كانت جالسة في هدوء، مفعمة القلب بالاحتقار والعداوة للجميع، متمتعة في أعماق نفسها بأن تكون موضع أحاديث الناس، هانئة بذلك الدخل الذي سوف تناله عما قريب. وعندئذ شعرت أنها أصبحت مستقلة طليقة، وفي نفس تلك الليلة آوت إلى سريرها في فراشها الوثير باستسلام شهواني. وكأنما الموت الذي أقبل إلى المنزل قد فتح في أعماق نفسها منبعاً من السرور العجيب

وفي صباح اليوم التالي أرسلت مارية عمتها (آن) لتبحث عن المجنز، فجرجت آن وهي تتمتم بعبارات السخط والغضب، ولكنها كانت تتعزى كلما فكرت في أنها ستفوز بخمسة شلنات، لتشتري بها ثوباً أسود وقبعة. وكانت تقول لنفسها وهي تبكي:

وإن دفنه بيدي جون جونز سيقلقه في مقره الأخير. فعرباته القديمة فرشها حقير للغاية. إني أخجل منهم

وعاد المجنز معها واستصحبته إلى الدور الأعلى لكي يقيس جثة الميت، ثم نزل إلى الصالون حيث انتظر مارية

وجاءت مارية، فبادرها بقوله:

ما أكثر وقار وجهه يا مس مورجنز

فأجابته مارية في الحال بنظرة خبيثة قائلة:

إن وجهك أنت سيكون أكثر هدوءاً ووقاراً حين يتوفاك الله!
فسألها وهو يهز رأسه الصغير:
وكيف ذلك؟ لقد عشت حتى الآن عاقلاً رزيناً
فقالت بخبث وهي تبحث له عن كرسي:
لقد كنت في المدرسة صبياً ماجناً خداعاً، اجلس الآن ودعنا نتكلم في الموضوع كان جون جونز شابا نشيطاً عصبياً أشبه بعصفور. ألقى جون جونز قبعته بجانبه، وفرك يديه ثم وضعها على ركبتيه النحيلتين كركبتي مراهق، وكان يحاول عبثاً أن يتظاهر بالبرود الحزين الذي يتناسب مع مهنته، فقد كان خفيف الحركة، ويبدو كأنما يثقله العمل الكثير، وكانت لحيته كأنها محلوقة منذ برهة وجيزة، كما أنه لم يكن ناجحاً في عمله كمنافسه
قال جون جونز، وقد بدا على وجهه نوع من الاهتمام:
أي نوع من التوابيت تفضلين؟
وعندما نظرت إليه مارية نظرة باسمة احمرت وجنتاه وتولاه الاضطراب. سألته قائلة:
كم الثمن الذي تريده؟
كانت مارية جالسة أمامه وجهاً لوجه تناقش الأثمان بمكر ودهاء عجيبين، وقد لمعت شفتيها الغليظتين، وبدا عليها التفكير والانتباه، مما جعله يعجب بها برغم سخطه. وبعد حساب طويل، قال:
إن كل شيء سوف لا يتكلف أكثر من عشرين جنيهاً، فهزت مارية رأسها قائلة:
إن توماس إيفانز يأخذ أقل من هذا
فقفز جون جونز من على كرسيه، وقد تملكه الغضب وقال:
إنك يهودية إلى آخر حد يا مارية مورجنز، إنه لا يليق أن تكوني شحيحة هكذا فيما يتعلق بالمآتم
فتوقفت مارية أيضاً، وقد احمرت وجنتاها من الغضب وصرخت:
إنك تريد أن تسرق الأيتام الفقراء، تريد أن تربح من فتاة لم

يعد لها أب!

فضحك جون جونز ساخراً:

أيتام فقراء! إنني متأكد أن والدك قد ترك مالاً وفيراً، ولكن ابنته تريد أن يدفن كما يدفن رجل معدم

وفرقع أصابعه بعصبية، ونظرت مارية إليه طويلاً، وقد انخفض جفناها وعاد إليها خبثها من جديد، ثم قالت:

إنني أحب أن أراك غاضباً مهتاجاً، إنك بهذا تكون أكثر رجولة، ولكنك الآن أكثر غضباً مما يجب أن يكون عليه (حانوتي)

كان جون جونز يسائل نفسه: كيف يترك هذا الرجل الموقر وراءه مثل هذه الفتاة الوقحة ذات اللسان البذيء! على أنه تذكر تجارته التي كانت آخذة في التدهور، فقال بهدوء:

دعينا من هذا يا مس مرجنز، كوني أكثر عدلاً، سوف أنظم جنازة فخمة بتسعة عشرة جنيها ونصف جنيه

وطلبت مارية من عمتها أن تحضر الشاي لجون جونز، وأخرجت هي خير ما عندها من الحلوى والفاكهة وأعطته منها كمية كبيرة

وفي يوم الدفن كان المطر يسقط مدراراً، والسماء مكفهرة، والجو رديئاً. وكانت مارية حزينة لأنها أنفقت كثيراً من النقود في شراء فستان أسود جميل وقبعة، كانت تقول لنفسها بعصبية متنقلة بين الحوانيت:

سوف يعرفون أنه حتى مس مورجنز الفقيرة الملبس تستطيع أن تبرهن على أنها سليمة الذوق

على أن المطر ضايقها كثيراً، فقالت لعمتها (آن) وهي ساخطة في صباح يوم الدفن:

سأضطر للذهاب لشراء معطف للمطر وشمسية جديدة، إنني دائماً سيئة الحظ، فسوف يكون هذا النهار رديئاً

كان المطر يسقط والرياح تصفر بقوة شديدة بالقرب من المقبرة، وكانت مارية واقفة بجانب القبر متكئة بجسمها الضخم على ذراع ابن عمتها تفكر في شمسيتها الحريرية الجديدة وتنعم النظر في الزهور التي تداعبها الرياح، وتفكر بحسرة مريرة في شبابها

المنطفئ. آه! ولكن كم من الأوقات الطويلة السعيدة ستتمتع بها حين ينتهي كل ذلك! لا، إنها سوف لا تبيع منزلها وتعيش بعيداً، فستكون مجهولة لا يعرفها أحد إذا ذهبت إلى مكان آخر، وسوف تشتري كمية من الفساتين وتنشر (الموضة) في الحي الذي تعيش فيه، وتدهش صديقاتها. وسرعان ما رأت نفسها تنزل إلى الدور الأرضي من الكنيسة في روعة يحسدها عليها الجميع. ولكن عندما أخذ الجميع يرتلون الترتيلة المحزنة الأخيرة فكرت من جديد في ألوان السعادة التي حرمت منها؛ وأخيراً بكت، فخفف بكاؤها كثيراً مما يثقل قلب عمتها (آن) وعندما أخذت مكانها في العربة أقبل (الحانوتي) وفي يده غطاء غطى به ركبتيها وعلى وجهه إمارات التأثر، ثم قال:

إن داخل العربة بارد. إنك قادرة على كتم عواطفك بشجاعة يا عزيزتي مس مورجنز

فأجابته بشموخ:

أشكرك يا جون جونز، أظن أنه لابد لك من شلن من أجل هذا الغطاء!

وعندما دخل الجميع العربة اتجهت إليها عمتها (آن) وقد بدا عليها الغضب، وقالت:

إنك تتصرفين كما لو كنت قطعة من الخشب، لقد أفسدت علي عملية الدفن، وكنت خجلة منك إلى أقصى حد

فقال ابن عمة الفتاة في صوت متأثر:

يا عزيزتي، لقد بكت عندما كنا نرتل الترتيلة الأخيرة، فأجابت العمة:

آه، عندما كان كل شيء قد انتهى تقريباً. سوف يتكلم عنها كل من كانوا بالكنيسة

فقالت مارية بكبرياء:

إن كل ما يقولونه لا يهمني، وأنت يا عمتي (آن) عجوز مرائية، إنني أعرفك جيداً

ثم قالت ساخرة:

إن كل ما في المسألة أنك تحسدينني من أجل ثروتي لا غير!

وعندما وصلوا إلى المنزل صعدت مارية إلى الطابق الأعلى لكي تخلع حذاءها الضيق الذي جرح أصابع قدميها. وكانت جموع الناس قد اجتمعت منتظرة الطعام الذي يعد عادة بعد الجنازة. وكانوا يعلقون بأصوات خافتة من الجوع على كل ما حدث في الجنازة. أما مارية فقد فتحت صندوق مغلقاً بمفتاح، وعلى وجهها ابتسامة خفيفة. وأخرجت منه علبة المسحوق الأبيض التي اشترتها بعد موت والدها، ودهنت أنفها اللامع وخديها النحاسيين، وهي في غبطة وسرور من هذا الإثم الجديد. وبعد ذلك لبست قرطها بهدوء. ثم اتجهت نحو السلم فرحة منتفخة كأنها ملكة مهيأة من جديد للنزول وعليها إمارات الأبهة والجلال. وفي أثناء نزولها سمعت أصوات بعض النسوة آلائي كن يتكلمن عند المدخل بصوت منخفض، فوقفت تنصت إليهن، فسمعتهن يذكرن اسمها. قالت إحداهن:

لقد كانت دائماً سخيفة غبية. ولكنها اليوم كانت حقاً وضيعة النفسية لا يحمل قلبها ذرة من النبل. لقد كانت معجبة بملابسها السخيفة كأنها في حفلة زواج

وقالت الأخرى:

ألم تكن تفكر أنه كان يجب عليها أن تبكي على الأقل اعترافاً بالجميل من أجل ذلك المال الكثير الذي تركه لها

لقد كانت كشخصية مضحكة في مأساة محزنة. ما هذه القبعة التي كانت تلبسها! أي مرض من الذوق ذلك الذي جعلها تلبس هذه القبعة في جنازة أبيها!

ونزلت مارية بهدوء. وعندما أحست النسوة بقدومها ابتدأن يتكلمن بأسى عن ساعة الدفن، ونظرن إليها بعيون كلها شفقة ورثاء. فنظرت إليهن مارية، وقد كشرت عن أنيابها وصاحت:

أخرجن من منزلي يا ذوات الألسنة البذيئة. أخرجن من هنا!

فجرى النسوة من وجهها الغاضب. ولكن إحداهن صاحت لدى الباب:

امسحي هذا المسحوق الأبيض الذي على وجهك أيتها الفتاة المفتونة!

وبعد أسبوع ذهب جون جونز إلى المنزل ومعه قائمة حسابه فأدخلته مارية إلى الصالون، ووضعت على الطاولة تسع عشرة ورقة من ذات الجنيه، فعد (الحانوتي) النقود بعناية. ثم التفت إليها وقد احمرت وجنتاه. ثم قال رافعاً صوته:

أرجو يا مس مرجنز أن تعطيني النصف جنيه الباقي. فأجابته

إذن قدم لي حساباً عن هذا المبلغ الضخم. لقد كانت الجنازة متواضعة

فصاح وهو يهز قبضته بانفعال شديد:

سوف اذكر ذلك أمام المحكمة. نعم سأقاضيك مطالباً بمبلغي أيتها المرابية الشحيحة!

كانت مارية متشحة برداء من القطيفة السوداء. لابسة عقدها وقرطها. معلقة ساعتها في ردائها الضيق الملتصق بجسمها المفصل على آخر طراز. قامت مارية من على كرسيها وقالت بطريقتها الإنجليزية الرشيقة:

لست ممن يتناقشن مع الحانوتي من أجل نصف جنيه. لقد كنت أظن أنك رجل مهذب ولكن يظهر أنني كنت مخدوعة

ظل جون جونز صامتاً وكأنه تذكر فجأة شيئاً. فنظر إليها بعينيه اللامعتين اللتين تشبهان عيني قرد، وقد بدا عليه الألم والحسرة، ولكن مارية خرجت من الغرفة ببرود وعادت وفي يدها كيس من التيل، وأخرجت منه حزمة منتفخة من أوراق البنكنوت. فنظر جون جونز إلى النقود. وقال بصوت تبلله الدموع

اغفري لي ثورتي يا مس مورجنز. لقد نسيت في فترة غضبي الخسارة المؤلمة التي انتابتك. يا إلهي! كم ستشعرين بالوحدة، إن عمتك ليست الرفيق اللازم لفتاة شابة. هلا وضعت بعد مشروعات تقومين بها في المستقبل؟

لقد كان قلبه الصغير الحساس يخفق حقيقة بحرارة رحمة بمارية التي لا أنيس لها. وابتسمت مارية ابتسامة خفيفة، وهي

تعبث بيدها في أوراق البنكنوت، بينما جون جونز ينظر إليها وعليه إمارات التأثر

أجابت مارية:

إنني لست مستعجلة. فسوف أعيش بمالي في بسطة من العيش

فقال جون جونز:

حقاً. ويمكنك أن تحصلي على ثمن جيد لهذا المنزل وللأربعة منازل الأخرى التي تقع في طريق المناجم. إنهم خالون من حق الاتفاق. أليس كذلك؟

فقالت مارية ضاحكة

إنك تريد أن تعرف كل شيء؟

وخرجت ثانية حاملة معها الكيس، ثم عادت ومعها زجاجة من النبيذ الفاخر وطبقاً من البسكويت. صرخت مارية بنشوة وافتخار رافعة الزجاجة إلى أعلى:

إنها الأولى في هذا المنزل

فقال جون جونز ضاحكاً أيضاً

لقد كان والدك مدمناً على شرب الماء!

وبينما كانا يشربان كانت مارية تنظر من النافذة بنشوة كأنها في حلم. ولكنها لاحظت أن الحانوتي يرمقها بنظرات عصبية

قالت مارية:

لا، إني لم أضع بعد مشروعات. كنت أريد أن أنتقل من هذا المنزل. ولكن فتاة غير متزوجة لابد أن ستشعر بالوحدة المضنية في مكان غريب. أما إذا وجدت زوجا. . . ورفعت عينيها الذابلتين نحوه. وكان هو من ناحيته ينظر إليها بتحديق شديد

لقد كان ذلك أكثر مما كان يأمل، فشرب قدحه سريعا، ثم رفع كوبته بيد مرتعشة وانحنى على ركبتيه أمامها، وأمسك بيدها وهو يتكلم بعبارات سريعة مضطربة قائلاً:

خذي يا عزيزتي مس مورجنز. إنني أنا أيضاً أعزب وحيد. لقد أحببتك منذ أن رأيتك أثناء دفن والدك هادئة ووحيدة. حقاً إنني أحبك. إنني أشعر في أعماق نفسي بشيء غريب نحوك

فأخذت مارية تضحك ضحكاً طويلاً لا ينقطع ثم قالت: يا جون جونز إنك بخيل لدرجة أنك لا تستطيع أن تحب. هل تحبني من أجل ذاتي؟

فقال جون جونز بحزن:

إنك قاسية خبيثة

فأجابته في الحال بحدة:

أوه! إنني لا أشعر بالحب نحو أي رجل ما. إنني أريد أن أتزوجك ليكون لي اعتبار في أعين الناس. والآن كم يكون هذا مفاجأة عجيبة بالنسبة لأولئك النسوة جميعاً!

obeikandl.com

obeikandl.com

صائدة النمور

ساكي

كان من أقوى بواعث السرور إلى مسز باكلتيد ومن أشهى أمانيها أن تصطاد نمراً، لا لأن شهوة القتل قد استولت فجأة على نفسها، ولا لأنها شعرت بأنها تترك الهند - عند مغادرتها إياها - آمن واهنا مقاماً مما وجدتها عند قدومها إليها إذ هي أنقصت من عدد وحوشها الضاربة بنسبة جزء من وحش إلى مليون من السكان؛ إنما نشأت هذه الرغبة المفاجئة الملحقة في اقتفاء خطوات ذلك الوحش النمرود على أثر ما سمعته عن لوناً بمبرتون التي ركبت منذ عهد قريب طيارة مع أحد الطيارين الجزائريين قطعت بها في الجو أحد عشر ميلاً؛ ولم يكن للوناً من حديث غير حديث هذه الرحلة الجوية الجزئية. وهذا حادث لم يكن لمسز باكلتيد بد من أن تكفه بحادث من جانبها أشد منه جراة وادعي إلى الإعجاب بأن تصطاد نمراً تحمل جلدة معها عند عودتها، وبأن تنشر الصحف مجموعة من صورها الفوتوغرافية لمناسبة هذا الحديث العظيم

ورسمت مسز باكلتيد في رأسها بالفعل صورة لمأدبة غداء تأدبها في بيتها بشارع كرزون استريت لغاية ظاهرها تكريم لونا بمبرتون، وباطنها أن يرى المدعوون جلد النمر الذي اصطادته يغطي القسم الأكبر من أرض الغرفة، وأن يستغرق حديث هذا الصيد كل الوقت الذي يقضيه الضيوف في هذه الوليمة. كذلك رسمت هدية للونا بمبرتون في عيد ميلادها المقبل. وكانت مسز باكليد امرأة شاذة في عالم مفروض فيه انه واقع تحت تأثير الجوع والحب، فكانت تتأثر - إلى مدى بعيد - في أغراضها وحركاتها بكرهها للونا بمبرتون

وساعدت الظروف مسز باكليد، فقد عرضت أن تدفع ألف روبية لمن يهئ لها فرصة اصطياد نمر دون التعرض لخطر جدي

ودون بذل مجهود شاق. وقد اتفق أن إحدى القرى المجاورة كان في مقدورها أن تفخر بأنها الملتقى المحبب إلى وحش محترم الأصل اضطره ضعف الشيخوخة أن ينصرف عن تحصيل قوته بافتراس حيوانات الغاب، وأن يعود معدته القناعة بالحيوانات الصغيرة الأليفة. فحركت الألف روبية الموعود بها غزيرة القروبين الرياضية التجارية، فرابطوا ليل نهار على الحدود الخارجية للغابة المحلية ليبقوا النمر داخل هذه الحدود ويحولوا بينه وبين الخروج منها سعياً وراء ميدان جديد للصيد. وأخذوا يتركون الأنواع الرخيصة من الغنم مهملة عن عمد في دائرة تجوله ليقنع بالبقاء في حدود هذه الدائرة. وكان أخوف ما يخافونه أن يموت ذلك الوحش بمرض الشيخوخة قيل حلول الأجل الذي حددته مسز باكلتيد لاصطياده. وكانت النسوة وهن عائدات من أعمالهن في الحقول يحملن أطفالهن على سواعدهن يكتمن غناءهن إذا مررن بالغابة حتى لا يقطع على سارق الغنم المحترم نومه الهادئ المريح

وأقبلت الليلة التي جعلت أجلاً للصيد. وكانت ليلة مقمرة صافية، وكان القرويون قد أعدوا مصطبة مريحة فوق إحدى الأشجار القائمة في نقطة تناسب عملية الصيد، وعلى هذه المصطبة قبعت مسز باكلتيد ورفيقتها المأجورة مس مبين، وكان القرويون قد عقلوا في المكان المناسب شاة وهبتها الطبيعة القدرة على الثغاء الذي لا ينقع حتى لو أن نمراً كان نصف أصم لسمعها دون شك في الليلة الهادئة. وانتظرت المرأة الرياضية صابرة صبر الكرام مجيء الصيد المشتهى، وكانت مزودة ببندقية مجهزة أدق تجهيز لأصابة المرمى، كما كانت تحمل معها رزمة من ورق اللعب لقطع الوقت في غير ملل

وقالت مس مبين:

(أتحسبنا معرضتين لشيء من الخطر؟)

ولم تكن مس مبين في الواقع قلقة من ناحية الوحش المفترس، ولكنها كانت ذات طبيعة تأتبي أن تؤدي ذرة من العمل فوق القدر الذي أجرت على أدائه

وقد أجابتها مسز باكلتيد:

(كلام فارغ! فهذا النمر عجوز جداً ولن يستطيع أن يثب إلينا هنا حتى لو أراد ذلك)

فقالت صاحبتها:

إن كان نمراً عجوزاً فمن رأيي أن تحصلي عليه بأرخص من هذا الثمن، فأن روبية مبلغ كبير)

وكانت مس لوبزا مبين متطبعة بطبع أخت لها كبرى شديدة الحرص فيما يتصل بمسائل المال على العموم دون نظر إلى الجنسية والدين. وكان تدخلها المستمر سبباً في اقتصاد عدد كبير من الروبيات فلا تبدد (بقشيشاً) في بعض فنادق موسكو كما كانت الفرنكات والسنتيمات تلتصق بأيديها التصاقاً طبيعياً في ظروف من شأنها أن تنتزعها دون تعب من أيد أقل من أيديها شفقة. وقطع عليها ملاحظتها على الثمن الذي تشتري به جثة النمر ووجوب تخفيض هذا الثمن ظهور النمر نفسه على المسرح. . . على أن ذلك الحيوان الشيخ المحترم لم يكد يقع نظره إلى الشاة المتعلقة حتى انبطح على الأرض هادئاً، لا رغبة في أن يحتاط على إخفاء نفسه عن نظرها، حتى لا تهرب منه، ولكن حرصاً على أن قليلاً قبل أن يبدأ حملته الهائلة على فريسته.

فقالت لويزا مبين في صوت عال باللغة الهندوستانية لتسمع رئيس القرية الذي كان على شجرة مجاورة:

(إني أعتقد أنه مريض)

فقالت مسز باكلتيد:

(صه!)

وفي اللحظة نفسها أخذ النمر يسير متخطراً إلى فريسته فقالت مس مبين في شئ من اللهفة:

(إذا كان النمر لا يمس الشاة فليس ما يدعوننا إلى أن ندفع ثمنها.)

وكان لهذه الشاة المعدة طعماً للنمر ثمن خاص. وهنا دوى في الجو صوت الطلق الناري مسبوقاً بوميض خاطف للأبصار،

فوثب الوحش الكبير مائلاً على أحد جنبيه ورقد ساكناً سكون الموت. فلم تمض لحظة حتى احتشد حول الفريسة عدد كبير من الأهالي المتلهفين، ولم يلبث صياحهم أن حمل الخبر السار إلى القرية، فدفت الطبول دقة النصر، وكان لتهليل النصر وأغاني الابتهاج صداها الجميل في قلب مسز باكلتيد. وبدالها في الحال أن وليمة الغداء في شارع كرزون استربت ستكون أقرب مما قدرت

وكانت لويزا مبين هي التي لفتت الأنظار إلى أن الشاة المسكينة تعاني الآم الموت من أثر إصابتها بطلق ناري بينما لا يوجد في جسم النمر أي أثر للرصاصة التي لأطلقت من بندقية الصيادة الماهرة. فكان من الواضح أن الطلق الناري قد أصاب الحيوان غير المقصود، وان الوحش الضاري قد مات بهبوط القلب من اثر صوت الطلق المفاجئ، وقد ساعد على ذلك انحلال الشيخوخة. وقد ارتاعت مسز باكلتيد ارتياعاً ظاهراً من كشف هذه الحقيقة ولكنها على كل حال قد أصبحت مالكة نمراً ميتاً، أما القرويون الذين كان لعابهم يسيل على الألف روبية فلم يروا بأساً في أن يتغاضوا عن خرافة اصطياد الوحش. وأما مس مبين فكانت رفيقة مأجورة. وعلى ذلك واجهت مسز باكلتيد الآت التصوير طروبة القلب، وطار صيتها من صفحات جريدة (تكساس وسكلى اسنابشت) إلى ملحق يوم الاثنين المصور لجريدة (نوفوي فريميا)

أما فيما يتصل بلونا بمبرتون فقد بقيت عدة أسابيع آبية النظر إلى أية صحيفة مصورة. وكان الخطاب الذي بعثت به إلى مسز باكلتيد تشكر لها فيه إهداءها مشبكاً من مخلب النمر مثالاً للانفعالات المكتومة، وقد رفضت في نفسه حضور وليمة الغداء، فأن هناك حدوداً إذا تخطتها الانفعالات المكتومة كان ذلك هو الخطر المحقق

وانتقل جلد النمر من شارع كرزون استربت إلى (مانورهاوس) حيث فحصه رجال البلدية فحصاً قانونياً وأعجبوا به إعجاباً شديداً. ولقد كان من عوامل الزهو في نفس مسز باكلتيد ذهابها إلى حفلة تنكرية في مرقص البلدية في لباس ديانا إلهة الصيد. ولقد

أبت مع ذلك أن نميل إلى اقتراح كلوفيس المغري عندما اقترح إقامة مرقص على طراز القصور القديمة يلبس فيها الراقصون جلود الحيوانات التي اصطادوها حديثاً. ولقد قال كلوفيس عندئذ:

(وسأكون في هذه الحال كالطفل الرضيع لا أجد ما ألبسه غير جلد أرنب أو أرنبين)

ثم قال وهو ينظر إلى تقاسيم وجه ديانا نظرة خبيثة:

(وإن قوامي ليشبه قوام ذلك الطفل الروسي الراقص)

وبعد أيام قليلة من ليلة المرقص قالت لويزا مبين تخاطب مسز باكلتيد:

(ما أبلغها فكاهةيعرف الجميع حقيقة ما حدث!)

فسألتها مسز باكلتيد مسرعة:

(ماذا تقصدين بذلك؟)

فأجابت مسز مبين وهي تبتسم ابتسامتها الممضة:

(أقصد أنهم لو عرفوا كيف أصبت الشاة خطأ وأمت النمر خوفاً)

فقالت مسز باكلتيد، وقد تقلبت الألوان على وجهها في سرعة مدهشة:

لن يصدق إنسان ذلك القول)

فقالت مسز مبين:

(ولكن لوناً بمبرتون تصدقه في غير تردد)

فاخضر وجه مسز باكلتيد اخضراراً غريباً وقالت:

(أظنني على يقين أنك لن تخونيني؟)

فأجابت مسز مبين في لهجة ذات معنى:

(لقد رأيت على مقربة من دور كنج داراً خلوية لقضاة نهاية الأسبوع وإني لأحب أن أبتاعها، ولكنهم يطلبون ثمناً خالصاً لها ستمائة وثمانين جنيهاً وهو مبلغ مناسب لقيمة الدار ولكنني لا أملكه)

وأصبح الأصدقاء جميعاً معجبين بالدار الجميلة التي أطلقت عليها مسز مبين اسم (الأمواج) وهي دار صيفية جميلة تحيط بها

حديقة غناء تحوي مجموعة من الأزهار البديعة.

وقد حكم الجميع بأن لويزا قد أبدعت الإبداع كله إعداد دارها وتجميلها.

وقررت مسو باكلتيد ألا تغامر في رياضة الصيد مرة أخرى وكانت تجيب أصدقائها إذا سألوها عن السبب في ذلك الأحجام بقولها:

(لأن الصيد يتطلب أكلافاً عرضية باهظة!)

obeikandl.com

ذَهَبْ آلْ هُوهِنزْلَرِنْ

س. فورستر

عندما كان ابن عمي بريان طالباً بالطب، كان كثيراً ما يختلف إلى منزلي، وخاصة عندما يكون في حاجة شديدة إلى النقود. أما الآن وقد أصبح طبياً ناجحاً فلم أعد أراه أو أسمع صوته. لذلك كانت دهشتي شديدة، عندما دق جرس التليفون في أحد الأيام وكان المتكلم بريان. وسألني عما إذا كان في استطاعتي أن أستغني عن جزء من وقتي ليواضعني الرأي في أمر هام. وقد انتهى حديثي معه بأن دعوته إلى العشاء.

ومع أنني كنت مشغولاً إذ ذاك بعرض إحدى رواياتي على مسارح لندن، ومنهمكاً في درس تفاصيل اتفاق مع إحدى الشركات السينمائية على شراء رواية أخرى، فإني كنت مشتاقاً إلى رؤية بريان، وقضاء بعض الوقت معه. فقد كان شاباً ظريفاً، يتفجر حيوية ونشاطاً.

وكان لبريان مقدرة عظيمة على ضبط نفسه، فلم يكلمني في ذلك الأمر الهام حتى فرغنا من تناول العشاء وشرب القهوة. وفي أثناء ذلك أخذ يسألني بكل أدب عن الرواية والفلم، وعن مدى نجاح مسرحيتي الجديدة. ولم يكن عجيباً أن يلقبني بريان بالعم فقد درج على ذلك منذ صغره، ولم أكن من ناحيتي أرى غضاضة في ذلك، بل كنت أعتبر هذا شعوراً طيباً منه نحوي. ولما فرغ بريان من إشعال سيجارته سألته عن ذلك الأمر الهام الذي كلمني عنه في التليفون.

قال بريان: حسن يا عمي، كل ما أريده منك أن تصحبني في رحلة على ظهر الدوليسينيا. والدوليسينيا هو الاسم الذي أطلقه على يختي الخاص.

قلت: يا طفلي العزيز، لقد كنت تتكلم الآن عن الرواية والفلم. وأنت تعرف أني أريد أن أنتهي منهما. وعلى ذلك لن يكون في استطاعتي أن أستغني عن دقيقة واحدة في ستة الأسابيع القادمة.

قال بريان: حسن، هذا ما كنت أخشاه، فبعد ستة أسابيع يكون الوقت قد مضى، وأنت تعرف أن الملاحة في الدانوب تتعطل في أثناء الشتاء.

- الدانوب؟ وأين تريد أن تذهب؟ ولماذا؟

- أنت ترى، ولكن يحسن بي أن أتكلم من البداية.

- إن هذا يكون أكثر إيضاحاً.

- لقد بدأت هذه القصة منذ أسبوعين مع أحد مرضاي وهو بحار ألماني ظريف يدعى (باير). وكانوا قد حملوه إلى المستشفى من الميناء، إذ أصابته إحدى الرافعات إصابة خطرة. وقد بلغت ما في وسعي لإنقاذه فنلت بذلك ثقته، وقد ساعدني على ذلك معرفتي باللغة الألمانية. وقبل وفاته بقليل أرسل إحدى الممرضات لاستدعائي - ولحسن الحظ كنت موجوداً حينئذ في المستشفى - وأخبرني عن الكنز.

- الكنز؟

- نعم، الكنز. إنها تبدو لك رواية خيالية. وقد فكرت فيك وهو يقص عليّ تلك القصة العجيبة. ألا ترى معي أنها كذلك؟ البحار الذي يحتضر يقص على الدكتور الطبيب في المستشفى قصة الكنز المخبوء، إنما كان ينبغي أن تكون مع البحار خريطة يبين عليها مكان الكنز.

- وهل كان معه؟

- كلا ولكن ما قاله يكفي. لقد قال إنه كان جندياً في الحرب العظمى، ولم يشتغل بالملاحة إلا أخيراً. وقد كان أحد الحراس الثلاثة الذين أرسلته الحكومة الألمانية لحراسة مقدار من المال أرسلته إلى بلغاريا أثناء الحرب. وقد عهد إلى أحد الضباط حراسة العربة المملوءة بالمال. ولما كانت أرض بلغاريا أرض صخرية وعرة،

فقد وصلوا إلى هناك متأخرين. وأنت تعرف أن بلغاريا كانت أسبق الدول التي بادرت في التسليم.

- نعم. هنا صحيح. ولا زلت أعجب كيف أن الشبان الذين لم يكونوا إلا صبية صغاراً في سنة 1918 يعرفون عن معركة هاستنج أكثر مما يعرفه آباؤهم وأعمامهم الذين خاضوا غمارها وذاقوا ويلاتها.

وعاد بريان يقول: لقد كانوا قريبين من الحدود عندما سلمت بلغاريا. ولما سمع الضابط أن جيشاً إنجليزياً كان في طريقه إلى صوفيا أمر بتحويل عربة الكنز إلى خط آخر، ووصلها بالقطار الذاهب إلى ألمانيا. ولم يكن سيرهم سريعاً، لأن خطوط السكك الحديدية كانت غير منتظمة. وكانوا لا يزالون في هنغاريا عندما سلمت النمسا أيضاً.

قلت: هذا معقول جداً. فالنمسا كانت ثانية الدول التي سلمت

واستطرد بريان يقول: وهكذا كانوا هناك مع عربة من عربات السكك الحديدية ملأى بالذهب. ولم يكونوا قادرين على التقدم ولا على الرجوع. وكان عليهم أن يعملوا عملاً حازماً سريعاً. ومما حملهم على ذلك أيضاً أن التشيك والرومانيين كانوا يسيرون في اتجاههم. وكان الإيطاليون يتقدمون نحو فينا. وبالطبع لم يكن الضابط يريد أن يستولي الخلفاء على ذلك الكنزولذلك دفنوه.

قلت: وهل أخبرك أين دفنوه؟

- بالطبع. فقد وقف قطارهم عند تل عال يقع بالقرب من قرية تسمى (ديللنجن) على نهر الدانوب. وعلى قمة هذا التل صليب تذكاري. وقد تعاون الضابط وباير والرجل الثالث على إخراج الذهب من العربة، وحملوه ليلاً إلى أعلى التل، ودفنوه هناك على عشر خطوات من الصليب المذكور.

وقد قال لي باير إن المال كله كان في صناديق حديدية، من بينها اثنان لم يستطيعوا حملهما إلا بصعوبة.

- وهل تظن أنه كان يقول الحقيقة؟

- نعم. . إني متأكد من ذلك تأكدي من جلوسي هنا معك.

- ولكن هذا لا يعني أن الكنز لا يزال هناك.

- صبراً. فسأخبرك عن كل شئ في وقته، فبعد أن دفنوا الكنز رحل الثلاثة: باير، والضابط، والرجل الثالث، قاصدين بلادهم. وقد كان رجوعهم شاقاً، فقد كانت هناك ثورات في كل مكان؛ وكانت آثار التخريب والدمار بادية في كل قرية.

- نعم هذا صحيح، فقد شاهدت بعيني ما حدث في دول أوربا الوسطى بعد الهدنة بقليل.

- وعلاوة على ذلك لم يكن مع أحدهم الغذاء الكافي. وكانت العدوى الأنفلونزا منتشرة في ذلك الوقت، وقد أصيب بها الرجل الثالث فمات في فينا. وبقى باير والضابط. ولما وصلا أخيراً إلى ألمانيا كانت الحرب هناك قد انتهت أيضاً؛ ولكن كانت هناك فتن وقلاقل داخلية. وبينما كانا خارجين من محطة السكك الحديدية في درسدن قذف شخص مجهول قنبلة أصابت من الضابط مقتلاً. وأصيب باير بجروح لم تكن خطرة على كل حال، فقضى هناك بعض الوقت حتى التأمت جروحه، ولما ثابت إليه صحته صمم على أن يحتفظ بسر الكنز لنفسه وألا يخبر به أحداً ما داموا لم يسألوه عنه. فقد نسى الجميع كل شئ عن هذا الكنز وسط القلق والاضطراب والثورات القائمة.

- ليس هذا بعجيب.

- حسن. منذ ذلك الوقت وباير يبحث عن طريقة يحصل بها على هذا المال؛ ولكن لم يكن ذلك بالشيء اليسير، إذ يجب عليه أن يجتاز بعض الحدود، ويتعرض للشبهات والظنون. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الرحلة الطويلة الشاقة تتطلب كثيراً من النقود ولم تكن النقود متوفرة لديه. وكان يخاف أن يطلب معونة أحد حتى لا يطلعه على سره. لذلك أخذ يتنقل من عمل إلى آخر، منتظراً حدوث معجزة تدنيه من غرضه. ولكن لم يتحقق حلمه، فقد كان آخر عمل له أنه كان بحاراً على ظهر السفينة الألمانية، ولم يعش طويلاً؛ فقد مات بعد أن قص على هذه القصة.

- وهل سمعه أحد وهو يخبرك بهذه القصة؟

- كلا. إن هذا مستحيل. ومع ذلك فقد كان يكلمني باللغة الألمانية.

- حسن، كل شئ يكاد يبدو حقيقياً، ولكن ما هي خطتك؟

- أريد أن نركب الدوليسينيا إلى هناك، ويمكننا أن نبحر إلى أعالي نهر الرين، ونعبر القناة الواصلة بين الرين والدانوب.

- يا إلهي! لقد نسيت كل شئ عن هذه القناة.

- ومن ثم ننزل إلى الدانوب، من فينا، وبعد ذلك ترسى عند ديللجمة، ثم نحمل الكنز ليلاً إلى اليخت. وأنت تعرف أن اليخت أكثر صلاحية لتخبئة الكنز من السيارة. ولن يرتاب فينا إنسان أو يشك في الأمر أحد.

- هه!

- ستأتي معنا. أليس كذلك؟ سنكون أنا ودوروثي مسرورين بمجيئك.

- دوروثي؟ يا للشيطان! وما الذي أدخل دوروثي في الأمر؟ ودوروثي هي خطيبة بريان.

- نحن على وشك الزواج، وستكون هذه الرحلة بمثابة شهر العسل لنا.

- فليبارك الله نفسي. هل تظنني أصحبكما وأتطفل على زوجين في شهر العسل؟

- لكننا لا نبالي بذلك.

- ربما لا تبالون أنتم بالأمر؛ ولكني أنا أبالي. إني أفضل أن يختل عقلي - كما أتوقع لنفسي - بهذه التجارب وهذا الفلم. أما أنت فخذ اليخت، ولكن لا تسألني أن أصحبكما.

- أشكرك يا عمي. ستأخذ نصف الكنز. هل تقبل؟ إننا سنستخدم يختك كما تعلم.

ردني ما قاله إلى عالم الحقيقة مرة ثانية. لقد رن كل شئ في أذني معقولاً إلى الآن. ولكن عندما أخذت أنظر في الأمر عن كثب بدا لي كل شئ أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة الواقعة. فاكتشاف الكنز المخبوء لا يكون إلا في القصص والروايات.

وقطع على بريان سلسلة تأملاتي بقوله:

- كم تظن من المال هناك؟

قلت: أنا لا أعتقد أن دولة كبيرة كألمانيا ترسل إلى بلغاريا في أثناء الحرب أقل من مليون جنيه. أليس كذلك؟

وتناولت ورقة وقلماً وأخذت أحسب.

- كل شئ حسن. لقد حسبناها أنا ودوروثي. نحن نستطيع أن نحمل مليون جنيه على ظهر الدوليسينيا بكل سهولة.

وأخيراً اتفقنا على كل شئ. سأضع يختي تحت تصرف بريان؛ وعندما يأتي بالمليون سيعطيني عشر هذا المليون. وأنا أعتقد أن مائة ألف جنيه تكفي عجوزاً مثلي لكي يقضي بقية حياته في هدوء واطمئنان. ويستطيع بريان أن يأخذ باقي المليون، وإذا لم يستطع إنفاق كل هذا المال فعليه أن يعيد بناء مستشفى لندن. وكنت أعرف أن بلاد الدانوب مليئة بالفتن والقلاقل، وأنهم سيتعرضون لكثير من المخاطر. فلما أبديت مخاوفي إلى بريان ابتسم وقال:

- إن دوروثي تحب المغامرات، وهي تخوض المخاطر بشجاعة منقطعة النظير. وعلى كل حال نحن نعرف كيف نحتفظ برؤوسنا سليمة، فلا تخف.

وأخذنا نتناقش في بعض التفصيلات الخاصة بالرحلة، وإعداد العدة لها، ولم يبرح بريان منزلي إلا بعد الساعة الرابعة صباحاً.

وأخيراً أتى اليوم السعيد، يوم زواج بريان ودوروثي. ولم أستطع التخلص من مشاغلي إلا بصعوبة. وما صدقت أني أصبحت حراً طليقاً، من أوامر الأستديو، وقيود التجارب في يوم بأكمله، حتى قصدت الكنيسة حيث أقيمت مراسيم الزواج، ووقعت باسمي شاهداً في السجل الخاص بالزواج، ثم قدت العروسين السعيدين إلى مرسى الدوليسينا. كان أمامي ستة أسابيع قبل أن أراهما ثانية. ولا أقول إن هذه الستة أسابيع مرت ببطء، أو إني قضيتها على أحر من الجمر، فقد كانت مشاغلي كثيرة. كان أمامي الرواية المسرحية، ومضايقات التجارب التي لا تنتهي؛ ثم هناك أيضاً الفلم، ولا تستطيع من يشتغل بإخراج فلم أن يجد من وقته

لحظة واحدة يقضيها في هدوء وسلام. وعندما انتهى الفلم وأصبح صالحاً للعرض، كان لا يزال على أن أنتهي من هذه الرواية بسرعة، وقد انتهيت منها في الوقت الذي تعهدت بتقديمها فيه إلى الناشر. وعندما انتهيت من هذا كله أحسست كأن عبئاً ثقيلاً أزيح عن عاتقي. ومن ثم أخذت أفكر طويلاً في الدوليسينا، وكنت أتخيلها وهي تأخذ طريقها عبر القناة بين مرتفعات بافاريا، ثم أتخيلها وهي تندفع مع التيار في نهر الدانوب؛ ثم أتخيلها وهي تثير شكوك البوليس في سبع دول مختلفة.

وكنت أواظب في أثناء ذلك على قراءة الجرائد الأجنبية. ولكني لم أعثر فيها على أي نبأ بالقبض على زوجين إنجليزيين بتهمة التجسس أو سرقة كنز. ولكنني مع ذلك أخذت أتضايق، وأوشك صبري أن ينفذ عندما سمعت جرس التليفون يدق فجأة، وكان الترنك يناديني من سوثهامبتن.

- هالو! عمي! لقد رجعنا ثانية. وكان الصوت صوت بريان.

قلت: وهل أنتما بخير؟

قال: نعم وقد وجدنا الكنز.

وصحت فجأة: وجدتما ماذا؟

- وجدنا الكنز كله سليماً. ألم أقل لك إني سأجده؟ سأخبرك بكل شئ في هذا المساء. نحن الآن في المحطة على وشك ركوب القطار إلى المدينة.

وربما كان أول ما خالج نفسي من مشاعر هو الاطمئنان لعودتهم سالمين، ولكن مع هذا طغى على فضول هائل لمعرفة كل شئ عن الكنز. وقد كنت ما أزال في ريب من أن هذه المغامرة قد انتهت بهذه السهولة. وعهدي بالمغامرات أنها لا تتحقق إلا في الروايات الخيالية التي كنت أؤلف منها العدد الكبير. كنت في الحقيقة بين الشك واليقين، وكنت في اضطراب ذهني، وقلق فكري، عندما أتى بريان ودوروثي لينقذاني مما أعاني.

قلت عند رؤيتهم: حسن؟

قال بريان: نحن مسروران لرؤية عمي المؤلف العظيم.

وقالت دوروثي: لقد رأينا ونحن في التاكسي جموع الجماهير المحتشدة وهي تتزاحم على شراء التذاكر لرؤية مسرحيتك الخالدة!

قلت: لعنة الله على المسرحية، لنتكلم عن الكنز أولاً.

قال بريان: حسن، ولكن أسمح لي أولاً بشيء من الشراب يا عمي.

وأحضرت إليه ما طلبه، ثم أخبرت الخادم أن الدكتور والمسز سومرست سيبقيان للعشاء. ثم استدرت نحوهما وقلت: حسن.

وابتدأ بريان يقول: لم تكن رحلة رديئة بالنظر إلى الدين كانوا يرافقونني.

ورمته دوروثي بمخدة صغيرة.

قلت وقد شعرت بالغضب لتدخلها: لا تكوني طفلة حديثة الزواج هكذا! اتركي هذا الطفل الأحمق يقص قصته بطريقته الخاصة.

وعاد بريان يقول: لم تكن الرحلة تستحق الذكر. إلا أن النهر كان مليئاً بالقوارب الكبيرة والجرارات الضخمة التي كانت تحدث صوتاً عالياً، حتى أنك لا تستطيع أن تسمع كلامك نفسه؛ وقضينا يومين على هذا الحال. أما اليخت فيجب عليك يا عمي أن تضع فيه ماكينة فاخرة بعد ذلك. لقد كنت أقول دائماً إنك ستستعمل اليخت عاجلاً أو آجلاً.

قلت بضيق: سأفعل ذلك في المرة القادمة.

- هذا عن نهر الرين. أما الملاحة في الدانوب فقد كانت حسنة. إنه نهرواسع جميل، وكانت الرياح تساعدنا، وكانت الأمواج هادئة، وبعبارة أصح كانت الرحلة موفقة. آه، لقد نسيت أن أخبرك عن العبور من هولندا إلى ألمانيا. كان علينا أن ندفع...

قلت وقد نفذ صبري: أنا لا أهتم بما تدفعه. استمر في قصتك.

- حسن، لقد عبرنا تشيكوسلوفاكيا والنمسا والمجر، وكان كل من يرى الراية الزرقاء ترفرف على اليخت لا يفهم السبب الذي حدا بيخت إنجليزي خاص إلى المجيء إلى أواسط أوربا، ولكنهم اعتادوا رؤيتنا فلم يسببوا لنا متاعب عند رجوعنا أخيراً بالذهب؛

وكان كل مكتب جمارك يدعونا ليلقي علينا بعض الأسئلة عن المكان الذي أتينا منه، وعما نفعله، وإلى أين نحن ذاهبان، وكان أكثرهم يتظاهر بأنه لا يعرف الألمانية.

قلت وقد عيل صبري: لعنة الله على الألمانية! ألم تذهب أخيراً إلى ديللنجن؟

- نعم في آخر الأمر، وكان أول شئ بدا لنا من ديللنجن هو الصليب التذكاري على المرتفعات القريبة من الماء. وكان هناك خط حديدي بجوار التل كما قال بايرتماماً؛ وكان علينا أن نذهب إلى الشاطئ ونعبر شريط القطار، ثم نصعد إلى قمة الجبل، ولما وصلنا إلى ذلك الصليب التذكاري خطوت عشر ياردات إلى الشمال منه، وكان كل شئ حسناً.

- ماذا تعني بقولك حسن؟

- لقد قال بايرالصدق، فقد كان هناك كثيب صغيرمن الرمال وحشيش نام لا يلاحظه إلا من يعرف مكانه بالضبط.

وعلى ذلك فقد رجعنا إلى اليخت، وانتظرنا إلى أن أتى الليل، وكان الانتظار طويلاً ومملاً، إذ كان يلوح لنا أن الوقت لا يتقدم. ولما خيم الظلام على الكون، ذهبنا إلى الشاطئ ثانية. . . وكنت قد اشتريت مجرافاً أثناء مروري بمدينة فينا، فأخذناه معنا واجتزنا شريط القطار، وكان قطار الشرق السريع الآتي من استامبول يمر في ذلك الوقت. . . فانتظرنا حتى مر، ثم ارتقينا التل في الظلام. ولم يكن من السهل العثور على ذلك الصليب التذكاري في هذا الظلام الشامل. . . ولكن كان من حسن حظنا أننا قد أتينا إلى هذا المكان في النهار. . . فجلست القرفصاء، وأخذت أتحسس الأرض لكي أعثر على كثيب الرمل. . . ولما وجدته بدأت أحفر في ذلك المكان. . . ولم أحفر كثيراً، فبعد أن حفرت ثلاث بوصات بدأ المجراف يحدث صوتاً مسموعاً نجم عن اصطدامه بشيء معدني، وكان ذلك الشيء صندوقاً حديدياً كبيراً. . . وبذلنا أنا ودوروثي مجهوداً كبيراً حتى أخرجناه من الحفرة. . .!

وكان هناك صناديق أخرى في تلك الحفرة. وكنت أعرف أننا

إذا أخرجناها كلها من الحفرة فلن نجد الوقت الكافي لكي نحملها إلى اليخت قبل طلوع النهار. وهذا يعني أن بعضها سيبقى على التل إلى النهار، وسيظهر الناس على حقيقة الأمر كله. لذلك آثرنا أن نحمل هذا الصندوق أولاً، ثم نحمل بقية الصناديق في الليالي التالية. وعلى ذلك، فقد ردمنا الحفرة بمهارة ورجعنا إلى اليخت بالصندوق الأول، وكان ثقيلاً. وقد حدث أن وقع على قدمي، وكشط الجلد كله، وكانت دوروثي هي السبب في ذلك...

وصاحت دوروثي معارضة: كلا، لست أنا...

وصحت غاضباً: كوني هادئة، أيتها الطفلة...

وعاد بريان يقول: حسن، بعد ما اجتزنا شريط القطار أوصلنا الصندوق إلى اليخت بواسطة قارب، ثم وضعناه أخيراً في الكابينة، وكان أمامنا وقت كاف لكي نحضر صندوقاً آخر، ولكننا آثرنا أن نفتح ذلك الصندوق أولاً لنرى ما بداخله.

وكأنما تعمد بريان مضايقتي، لأنه اختار هذه اللحظة بالذات لكي يشعل سيجارته، ولكنني امتنعت عن أي معارضة وانتظرت بفارغ الصبر حتى انتهي من هذه العملية وعاد يقول:

- ولم يكن فتح الصندوق بالشيء الصعب، فقد كان القفل قديماً قد أتلفه الصدأ، فلم نجد صعوبة في كسره، وكان...

فقاطعته وأنا أقول بلهفة: وماذا وجدتم في الداخل؟

- وجدنا المال الذي قال عنه (باير)؛ ولكنه كان أوراقاً مالية، وبالطبع كانت هذه الأوراق من الطبعة التي أصدرتها ألمانيا أثناء الحرب. وكان في الصندوق نصف مليون فرنك إن لم يكن أكثر؛ وأظنك اشتريت لي أوراقاً من هذا النوع بعد الحرب مباشرة لكي ألعب بها، وفي الوقت الذي خرجت فيه هذه الأوراق من دائرة التعامل، كان المائة ألف منها تساوي بنساً واحداً على ما أظن!

الوحدة والجريمة
لورد لبتون

ولدت إنجليزياً ولكني قضيت الأيام الأولى من عمري في بلدة نائية أجنبية، وليس لي اخوة ولا أخوات، وقد توفيت والدتي وأنا في المهد فوجدت في والدي الرفيق والمعلم والصديق، وقد كان هذا الوالد الأخ الأصغر لأسرة شريفة وبيت عريق. أما ما حدا به إلى ترك بلدته وأصدقائه وتجنب المجتمعات والإقامة ببلدة كالصخرة فقصة قائمة بذاتها لا دخل لها بقصتي هذه

قلت أن والدي أقام ببلدة كالصخرة لأن بلدتنا لم تكن في الواقع إلا كذلك: قفار حالكة عرضة للسافيات، وأشجار عجزت عن النمو، وعشب جاف، وتجاويف لم تهتد إليها النجوم ولم يعرف ضوء الشمس مكانها إلا من بعض فجوات بالصخور التي تعلوها، تجتازها مياه قاتمة مغبرة ترغى وتزبد أثناء سيرها في طريقها الصخري. هضاب غطتها الثلوج المتراكمة تأوي إليها الطيور الجارحة وينبعث منها صوتها المرعب المخيف إلى عنان السماء التي أبت أن تتدثربالسحب على ما بها من شحوب وخوف وهرم. كل هذا ينم على حال تلك البلدة التي سلخت بها الأيام الأولى من حياتي. أما مناخها فلم يغير من المناظر التي تحيط بمنزلي إلا قليلاً وإن كان في بعض الأحياء الأخرى يحل صيفها المفاجئ الذي لا يعقبه خريف بشهوره الثلاثة لطول شتائها؛ وربما في فترات قصيرة الأمد يذوب الثلج في الأودية وتفيض المياه ويظهر نبات أصفر غريب يفتر ثغره عن بسمات خبيثة موجهة لبعض أجزاء من هذه الصخرة العالية لأمثال هذه المناظر التافهة من تقلبات الفصول. قضيت أيام حياتي عاماً فعاماً. وكان والدي مغرماً بالعلوم الطبيعية ومشاركاً في باقي العلوم فدرس لي كل ما عنده. وكان للطبيعة الفضل في سد

النقص بما أوحت إلى قلبي من دروس عميقة صامتة وهي تكشر عن نابها وتعبس. علمت قدمي الركل وذراعي اللكم ونفثت في رغباتي روح الحياة وألهمت طباعي الجد لا الهزل. علمتني كيف أعانقها وإن كان قوامها معوجاً وشكلها غير مغر. أفر من سواها وأهرب من مصادقة رجل وأنثني من ابتسامة أنثى. أهرب من بكاء الطفولة وأخشى من التقيد والآمال وملذات الوجود كما أخشى من اللعنة والعذاب؛ ومع ذلك كانت لي في هذه الصخرة العابسة وتحت هذه السماء الشاحبة متعات لا يهتدي إلى كنهها أهل الحضر الذين يجدون لذتهم في أريج العطر وعبيق الورد، فما هذه المتعات؟ إن لها من المتنوعات والأشكال المختلفة عشرات الألوف كما لها من أفياء السرور، ولكن ليس لها من الأسماء المتداولة إلا أسم واحد، فما هي هذه المتعات؟ هي (الوحدة).

مات والدي وأنا في الثامنة عشرة فانتقلت إلى كنف عمي وأزمعت الرحيل إلى لندن فوصلتها نحيفاً عبوساً مفتول الساعد قوي البنية؛ بيد أني في نظر من حولي كنت وحشاً في هيئتي وطباعي. كان لهم أن يضحكوا مني، ولكني أرهبتهم بصورتي؛ وكان لهم أن يغيروا من طبعي، ولكني أثرت فيهم وألقيت على بهجتهم رهبة فكانوا وجلين مني وإن لم أتكلم إلا نادراً ولم أجالسهم إلا مجلس الغريب الصامت المنقاد. ما من أحد منهم يستطيع معاشرتي ويكون مسروراً أو مرتاحاً. هذا ما شعرت به وقد أبغضهم إذ لم يمنحوني حبهم.

مضت ثلاث سنين بلغت فيها سن الرشد، فطالبت بثروتي واحتقرت الحياة الاجتماعية، وذبت شوقاً مرة أخرى إلى الوحدة، فصممت على الرحيل إلى الأراضي النائية الخالية من السكان، تلك الأراضي التي لم يرجع منها زائر يتحدث عنها ممن طوحت بهم الأقدار في أحضانها التي لم يرجع منها زائر يتحدث عنها ممن طوحت بهم الأقدار في أحضانها.

استأذنت عمي وزوجه وأولاده وبدأت الحج فاجتزت الرمال المحرقة، وقطعت الفيافي الشاسعة، حتى وصلت إلى غابات أفريقيا

الكثيفة التي لم تطأها قدم، ولم يشوش صوت إنسان هذا الجلال المهيب الذي يخيم على وحدتها كما كان يخيم قبل الوجود على العوالم المضطربة. هناك حيث تنمو الفطرة الأزلية وتذبل بغير إزعاج أو تغيير يطرأ عليها من اضطراب ما يحيط بها من العوالم. هناك حيث تنبت البذور أشجاراً تعيش أعماراً لا تحصى ولا تعد، ثم تتساقط أوراقها ويسطو عليها البلى ويعتريها الفساد ويدركها الفناء. هناك حيث يخطو الزمن المتثاقل لم يشهد تقلباته الهائلة الصامتة إلا أسد شارد، أو أفعوان جسيم، يكبر مائة مرة تلك البوا التي يباهي السائحون برؤيتها. هناك تحت الظلال الوارفة

التي آوى إليها وقت القيلولة كنت أسمع وقع أقدام كالجند وأصغي إلى وسوسة الأشجار الباسقة وهي تدك وتهدم، وأرى من خلال فروع الأشجار الملتفة اليهموث عابراً سبيله الوعر وعيناه تتقدان كالجمر وأنيابه البيضاء في فكه الشرس جاثمة براقة كأعمدة من الصوام تشع في غار. ذلك هوا الوحش الذي جعلت له دون غيره هذه الفدافد موطناً؛ ذلك هو الوحش الذي لم يتبدل من يوم أن عرفت المياه سبيلها في الكون؛ ذلك هو الوحش الذي لم تبصره عين آدمي غيري.

تسللت فصول الأعوام لم أحصها عداً، إذ لا أنيس يخبرها إليَّ، ولا أثر يترسم من أعمال أبن آدم القذرة يبغضني فيها. أقول كرت الفصول ونضج شبابي حتى بلغت الرجولة وجلل الشيب مفرقي بالثغام، ولم ألبث أن استولى عليَّ ميل دفين لا يقر على حال وناجيت قلبي المذنب أن لابد من نظرة أو عودة إلى عشيرتي.

قفلت أطوي الفدافد إلى أن بلغت المدائن فتدثرت بلباس أهلها إذا لم أكن في البيداء إلا عاري الجسد، ولما بلغت الثغر أقلتني سفينة إلى إنجلترا كان فيها رجل هو وحده الذي لم يتجنب صداقتي ولم يخش غضبي، يستولي عليه النزق، ويملأه الغرور، ويتيه عجباً كما يختال عادة هؤلاء الذين استوطنوا المدائن، واتخذوا الكلام غذاء عقولهم. وكان طفيليًّا سخيفاً ونسيجاً قذراً من آراء سافلة، وكان الرعب الشائن هو الخصلة الفريدة التي لم تفارقها نفسه،

فمحال أن ترهبه أو تسكته أو تهزمه؛ يتعقبني دائماً ويلازمني كظلي ليس لقوة أن تنزعه مني، وكلما بصرت به شعرت بدوار، وكان هؤلاء الطغام المحتقرين الذين ترتعد الفرائض لرؤيتهم

كنت أقاطعه مراراً كلما خاطبني. ولكم هممت أن أقبض عليه وأقذف به إلى البحر للحيتان التي كانت تسبح ليل نهار حول السفينة بعيون براقة وأنياب تواقة، إلا أن نظرات الجميع كانت متجهة إلينا فكبحت جماح نفسي وعدلت عن ذلك مغمضاً عيني على مضض؛ وكلما فتحتهما ثانية وجدته بجانبي وصوته الأجش يرن في أذني الكارهة سماعه.

في ذات ليلة تنبهت من نومي على صياح الرجال وهم يقسمون فأسرعت إلى سطح السفين وكنا قد ارتطمنا بصخرة فما أروعه منظراً! إنه كان هائلاً. فضوء القمر هادئ والبحر على فيروزته نائم. في وسط هذا السكون الصامت الناعم الذي شمل كل شيء انمحى أثر ثلاثمائة وخمسين نسمة من الوجود. لزمت عزلتي لم أساعد أحداً من المغرقين بل ظللت أنظر، وإذا بصوت كصوت أفعى ينساب إلى أذني فالتفت ورأيت مزعجي وقد انعكس ضوء القمر على وجهه وهو يتمتم كالسكارى وعينه الذابلة الزرقاء تحملق وهو يقول: لا نفترق حتى في هذا المكان.

جرى الدم حاراً في عروقي وعزمت على أن أرميه في البحر الذي كان يغمرنا سريعاً، ولكن خيل إليّ أن القمر يرمقني كما ترمقني عين السماء ولم أتجاسر على أن أقتله. ولما كنت لا أستطيع البقاء كي أموت مع المغرقين قذفت بنفسي نحو صخرة وقد طاردني حوت فأرهبته، وبعد برهة وجيزة كان لديه القدر الكافي لإشباع نهمه سمعت دوياً فصيحات يأس ممتزجة مزعجة، بأس ثلاثمائة وخمسين قلباً سكنت في لحظة. قلت في نفسي وقد داخلني سرور عميق إن صوته لا محالة بين أصواتهم وقد افترقنا. وما وصلت الشاطئ حتى اضطجعت للنوم.

وفي صباح اليوم الثاني انفتحت عيناي على أرض أجمل من أحلام الشباب وقد ابتسمت الشمس وأشرقت على أنهار فضية،

ومالت الأشجار بثمار أرجوانية عسجدية، وتلألأ كالماس الندي في أرض تحلت بأزهار ذات أريج عبق ممتع، وقد حلقت عشرات الألوف من الطير بأجنحة براقة امتزجت ألوان قزح بها وطارت من على النبات والأشجار وملأت الجو تغريداً من سرورها. البحر يزأر تحت قدمي لا أثر في جبينه اللامع لتأكل سالف؛ أما السماء فكانت تدفئ عروقي بأشعتها الذهبية التي لم تعترضها سحب. استيقظت نشيطاً مرحاً وجست خلال هذا المكان الجديد الذي اهتديت إليه فتسلقت تلاً ووجدت أنني في جزيرة صغيرة لا أثر لرجل فيها، فارتاح قلبي وصحت طرباً لما رأيت أني سأكون وحيداً مرة أخرى، ولكني لم أكد أنحدر من التل وأصل إلى نهايته حتى لمحت رجلاً يقترب مني. نظرت إليه فارتاب، قلبي ثم دنا مني فإذا بالغيض المضطهد يقف أمامي بعد أن نجا من الغرق! لقد عاد بتمتمته وعينه البراقة، وما لبث أن طوقني بذراعيه فشعرت بأن أفعى تحتضنني وقال بصوت أجس خشن: مرحى مرحى! سنبقى معاً أيها الصديق.

فنظرت إليه وأنا مقطب الجبين لم أتلفظ بكلمة، وكان بجانب الشاطئ غار كبير فقصيدته ودخلت فيه وهو يتبعني قائلاً: سنعيش في هناء هنا لا نفترق إلى الأبد. فارتعشت شفتي وانقبضت يدي.

قد انتصف اليوم وغلبني الجوع فخرجت واصطدت غزالاً وشويت جزءاً منه على نار من أخشاب عطرية فأخذ الرجل يأكل ويزدرد ويقهقه، وتمنيت لو غص بالعظام. ولما انتهى قال ليس لدينا هنا إلا النذر اليسير من الأنشراح، بيد أني لم أزل محافظاً على صمتي، وأخيراً تمدد في ركن من الغار ونام، فنظرت إليه ورأيت نومه عميقاً ثم خرجت ودحرجت حجراً كبيراً عند باب الغار واتخذت سبيلي إلى الجزء المقابل من الجزيرة. وجاء دوري في الضحك ووجدت غازاً آخر وهيأت فراشاً من العشب والأوراق، ومن الأخشاب صنعت منضدة، وتطلعت من فوهة الغار فرأيت البحار العريضة أمامي وقلت الآن سأكون منفرداً. ولما أقبل اليوم الثاني خرجت مرة أخرى واصطدت جدياً وعدت به وجهزته كما سبق. ولما كنت غير جائع لم أستطع تناول الطعام وهمت على وجهي

في أنحاء الجزيرة، وعند عودتي كانت الشمس قد غربت فدخلت الغار، فجلست على فراشي؛ ولكن بجوار منضدتي كان الرجل الذي ظننت أني دفنته حياً بالغار الأول. وما إن وقع نظره عليّ حتى ضحك وألقى بالعظمة التي كان ينهشها وقال: آه لقد عولت على أن تعلمني خدعة نادرة، ولكن بالغار نفقاً لم تفطن إليه وقد خرجت منه للبحث عنك، وهذه مسألة هينة، لأن الجزيرة صغيرة، أما وقد تقابلنا فلا فراق بعد

فقلت: قم واتبعني. ففعل، وما ترك من الطعام كان قذى في عيني لأنه مد إليه يده، وأخيراً فكرت أأزرع ليحصد هذا المخلوق؛ وشعرت بقلبي وقد تحجر.

صعدت إلى صخرة عالية وقلت: أنظر حولك وتطلع إلى هذا الجدول الذي يشطر الجزيرة فستقيم في شطر وأقيم في الآخر. ومن المحال أن تجمعنا بقعة واحدة أو يضمنا خوان، فقال: لا يتأتى ذلك إذ ليس في مقدوري أن أصطاد الغزلان أو أقتنص الجديان. وإذا لم تتعهدني بالغذاء فسأموت جوعاً. قلت: ألا توجد فاكهة وطيور تستطيع اقتناصها، وسمك يقذف به البحر؟ فقهقه وقال: لا أهواها كما أحب لحم الجديان والغزلان. فقلت: أفهم الآن وأنظر إلى هذا الحجر الداكن من الشاطئ الثاني لهذا الجدول. سأترك لك كل يوم عنده جدياً أو غزالاً حتى تنال من الطعام ما تشتهي، ولكن إذا اجتزت هذا الجدول ودخلت في ملكي فمن المؤكد أني سأذبحك. نزلت من الصخرة وأرشدت الرجل إلى شاطئ الجدول، فقال: لا أعرف السباحة، فحملته على كتفي واجتزت الجدول ووجدت له غاراً وهيأت له فراشاً ومنضدة كما صنعت لنفسي، ثم تركته، ولما حاذيت شاطئ الجدول ثانية كدت أطير من الفرح ورفعت صوتي قائلاً: سأكون الآن وحيداً.

مر يومان وأنا منفرد، وفي الثالث خرجت للقنص وكان وقت القيلولة وأعياني التعب حينما عدت؛ وإذ دخلت مغارتي وجدت الرجل منطرحاً على فراشي وقال: ها، ها. أنا هنا لقد سئمت الوحدة في منزلي وجئت لأعيش معك ثانية. فعبست وقطبت ما بين

حاجبي وقلت: من المؤكد أني ذابحك. وجذبته من فراشي بذراعي وأخذته في الهواء الطلق ووقفنا سوياً على الرمال قريباً من البحر العظيم. استولى عليّ الخوف وداخلني ذعر من السكون الشامل الذي يخيم على الوحدة مع أني لا أبالي بالناس لو أحاطوا بنا آلافاً لذبحته أمام أعينهم. وما راعني إلا أننا وحيدان في الصحراء لا ثالث معنا إلا الله. أرخيت عنان قبضتي، وقلت له: أقسم لي بأنك لا تضايقني بعد، وأنك تحافظ على حدود منازلنا ولا تجتازها وأنا أعفو عنك. فقال: لا أستطيع القسم، وخير لي أن أموت في الحال من أن أفارق وجه آدمي صبوح ولو كان عدواً لي. ولهذه الكلمات عاودني حنقي فطرحته أرضاً ووضعت قدمي على صدره ويدي في عنقه، فحاول الخلاص برهة، ثم كان جثة هامدة. تولاني الخوف على أثر ذلك؛ ولما نظرت إلى وجهه ظننت أنه عاد إلى الحياة وخيل إليَّ أن عينه الذابلة الزرقاء ترنوا إليّ، وأن ابتسامته الخبيثة لم تفارق شفتيه، كما أن يديه اللتين كانتا قابضتين على الرمال في حشرجة الموت امتدتا نحوي فضغطت على صدره مرة أخرى وحفرت حفيراً بجانب الشاطئ وواريته التراب وقلت: صرت الآن وحيداً.

هنا تجلت لي المعاني الحقيقية للوحدة والكآبة ولعدم الاستقرار والعزلة، فارتعشت وترنح كل عضو من هيكلي الجبار كأني طفل ترتعد من الظلام فرائصه، وقف شعر رأسي وتقلصت عضلاتي، ولم أستطع البقاء في هذه البقعة دقيقة واحدة، ولو عاد إلي شبابي. غادرتها هرباً وجبت هذه الجزيرة، وكلما يممت شطر البحر واصطكت أسناني واشتقت إلى صحراء شاسعة لا نهاية لها أتوارى فيها إلى الأبد.

عند الغروب عدت إلى مغارتي وجلست في زاوية من الفراش وأخفيت وجهي بكلتا الراحتين، وتوهمت أني أسمع ضوضاء فرفعت بصري. ولعمري لقد رأيت الرجل الذي أجهزت عليه ودفنته مقيماً بالطرف الثاني من الفراش

هناك على بعد ست أقدام مني كان جالساً يشير إليّ برأسه

وينظر بعين شاحبة ويقهقه. وليت الأدبار من الغار ودخلت في غابة واستلقيت، ولكن هناك على بعد ست أقدام مني كان وجه ذلك الرجل أيضاً

أيقظت شجاعتي وخاطبته ولكن لم يبد جواباً. حاولت القبض عليه فأفلت وكان على بعد ست أقدام، وجهه دائماً أمامي

خررت على الأرض ساجداً وغطيت وجهي بأديمها وآليت لا أرفع رأسي حتى يحين الليل وينسدل الظلام.

وقتئذ قمت وعدت إلى الغار واضطجعت في فراشي، فنام بجانبي الرجل، فغضبت وحاولت أن آخذ بتلابيبه فلم أتمكن

أخيراً أغمضت جفني ورقد بجانبي. مرت الأيام والحال لا تتغير في الداخل ولا في الخارج، في المنزل وفي الفراش، في القيام وفي الرقاد، بالليل أو أثناء النهار. هناك في طرف فراشي وعلى بعد ست أقدام لا أكثر ولا أقل كان الميت الشاحب.

وما كدت أنظر إلى الأرض الجميلة والسماء الصافية وإلى هذا الصاحب المخيف حتى قلت: لا أعيش وحيداً بعد ذلك، فضحك الرجل بملء شدقيه. رست في النهاية سفين فحييتها وأقلتني وما وطئت قدمي سطحها حتى ظننت أني بمنجى من مزعجي، ولكن سرعان ما رأيته يعتلي سطحها، واجتهدت عبثاً أن ألقيه في اليم، ولكنه كان بجانبي دائماً يأكل معي وينام كسابق عهده

وصلت إلى مسقط رأسي واندمجت في الزحام. شهدت الولائم وسمعت الألحان، جعلت ثلاثين رجلاً يجلسون معي وظللت أراقبه ليلاً ونهاراً، ولكن رفاقي كانوا واحداً وثلاثين وأخيرهم كان أكثرهم ألفة وعشرة.

فخاطبت نفسي: أهذا وهم أم هو خِداع الحواس؟ ولابد أن أستشير الأخصائيين في هذا الاضطراب لكي أعود إلى الوحدة؛ دعوت عرافاً ذائع الصيت في طرد ما علق برأسي من الأوهام واستحلفته أن يكتم السرورويت له قصتي، وكان رجلاً جريئاً عالماً فوعدني الخلاص والنجاة، ثم سألني مبتسماً: أين هذا الشخص الآن فإني لا أراه، وإن كان حقاً ما تقول فإن حواسي لا تقل ادراكاً

عن حواسك؟ وكان في خطابه كما يكون الأستاذ مع تلميذه وأنا لا أعارضه ولا أساجله، وأمرت الخدم أن يهيئوا غرفة ويكسوا أرضها بالرمل. ولما صدعوا بالأمر التمست من طبيبي أن يتبعني إليها وأحكمت رتاجها، فسألني: أين الشخص الآن؟ فقلت: إنه على بعد ست أقدام منا. فأبتسم الطبيب فأهبت به أن ينظر إلى الأرض وأشرت إلى بقعة منها قائلاً له: مادا ترى؟ فأرتجف وتعلق بي حتى لا يهوى ثم قال حينما دخلنا: كان الرمل ناعماً ولكني أرى في هذه البقعة أثراً لأقدام آدمي، فضحكت ومشيت مع رفيقي الحي إلى الأمام وقلت له: أنظر ماذا يتبعنا كلما تحركنا، فحاول الطبيب أن يتنفس الصعداء ثم قال: صاحب هذه الأقدام، فصحت به فجأة صيحة اليأس الغضوب: ألا تستطيع أن تدبرني وهل قضى على ألا أعيش بعد منفرداً؟ غير أني رأيت آثار هذا الهالك تخط على الرمل هذه الكلمات:

(لم تخلق الوحدة للمجرمين. الأفكار السيئة رفيقات الساعة، ولكن الأعمال السيئة صديقات إلى قيام الساعة).

obeikandl.com

obeikandl.com

مطاردة...!

سومرست موم

عندما أرست بنا السفينة على ثلاثة أميال من الشاطئ الشمالي لجزيرة بورنيو، تقدم ربانها نجوى ومد يده إلى مصافحاً وتمنى لي حظاً سعيداً طيباً. فانتهزت بدوري هذه الفرصة التي بذلها نحوي في خلال تلك الرحلة الطويلة المتعبة، ثم أخذت طريقي هابطاً سلم السفينة التي كانت مزدحمة بالركب ذوي الأجناس المختلفة والنحل المتعددة. وكانت هذه السفينة من تلك السفن الشراعية الكبيرة ذات الأشرعة الواسعة الرحبة المصنوعة من خشب الخيزران المجدول. وتذكرت حينئذ أمتعتي فنظرت إلى المقر الذي كانت موضوعة فيه في أحد جوانب السفينة، فوجدتها قد أنزلت إلى القارب الذي سيقلنا إلى الساحل ووضعت في مكان ظاهر فيه

ولما اكتمل عددنا في القارب لوحت بيدي لربان السفينة الذي أخرج من جبيبه في تلك اللحظة منديلا أبيض وأخذ يلوح لي به مبتسما في الفضاء الواسع العريض، وقلدني باقي الركاب الذين كانوا معي في ذلك، فأخذوا يلوحون له وللركاب الذين تركوهم يستأنفون سفرهم على سطحها بأيديهم طوراً، وبمناديهم الصغيرة البيضاء طوراً آخر، ودموع الفرح والغبطة ترقرق في عيونهم التي كان يشع منها بريق السعادة والسروروما زلنا على هذا الوداع المؤثر الحار حتى اختفت السفينة عن أبصارناً أختفاء تاماً، وأصبحت تتراءى لنا لبعد المسافة التي كانت تفصلنا عنها كأنها شبح من الأشباح القاتمة السواء.

ولما اقتربنا من الساحل تتراءى لي عن بعد أشجار جوز الهند المحملة بذلك الثمر الشهي الذي يكثر زرعه في تلك الأنحاء، ورأيت من خلالها سقوف الأكواخ الخشبية الرمادية اللون التي

يقطنها أهالي هذه المنطقة الاستوائية الحارة. وأشار لي وقتئذ أحد الصينيين الذين كانوا أبيض كبير قائم على مقربة من الساحل وسألني بالإنجليزي التي كان يتكلمها بطلاقة وصدق كأحد أبنائها:

- أتعرف من يقيم في هذا الكوخ الأبيض المرتفع؟ فتظاهرت بأنني لا أعرفه وهززت رأسي متأسفاً وقلت: لا!

- إن الذي يقيم بهذا البناء هو حاكم هذا الإقليم، وهو إنجليزي الجنسية كما أعلم...

فشكرته على هذه المعلومات التي أدلى بها إلى ثم سكت! ولو كان هذا الصيني يعلم أنني سأقيم مع هذا الحاكم تحت سقف واحد لمدة من الزمن، لوفر على نفسه هذا التعريف الذي كنت على دراية به أكثر منه! وقد كان على حينئذ خطاب توصية إليه من ربان السفينة التي أقلتني إلى هذا المكان، لأنه لم يسبق لي مشاهدته أو التعرف إليه من قبل

وحين رسا القارب بنا وهبطنا إلى الساحل الرملي البديع، شعرت فجأة بتلك الوحشة التي يشعر بها كلُّ شخص تطأ قدماه أرضاً غريبة ليست له بها عهد من قبل، وقد وقفت برهة على الساحل أتامل البحر فتزيده بهاء وسناء وروعة...

ولم ألبث أن شعرت ببعض الخجل والارتباك وأنا أتقدم إلى كوخ الحاكم بخطوات وئيدة ثابتة، وقد حملت حقيبة أمتعتي في يدي اليمنى، وقبعتي العريضة البيضاء في يدي اليسرى، وأخذت أسائل نفسي أثناء سيرى قائلاً: (كيف أقدم نفسي إليه؟ بل كيف يخطر لي ببال - وأنا الغريب عن تلك المنطقة - أن أبيت وإياه في مسكن واحد، وأتناول ما يقدمه لي من طعام وشراب - وأنا لا أعرفه - حتى تأتي السفينة التي ستقلني إلى الجهة التي أزمعت الوصول إليها؟!)

ولكني لم ألبث - حينما وصلت إلى باب الكوخ - أن وفرت على نفسي مشقة هذه الأسئلة الغريبة المحرجة التي أخذت نتوارد على ذهني بسرعة هائلة، فأنزلت حقيبة أمتعتي إلى الأرض وأخرجت من جيبي خطاب التوصية الذي كنت أحمله معي وناديت أحد

الخدم الواقفين بالباب وطلبت منه أن يسلمه إلى الحاكم يداً بيد. ولم يمض على دخول الخادم بضع دقائق حتى خرج إلى من داخل الكوخ رجل وسيم الطلعة، قوى البنية، ذو وجه باش أحمر يدل على إفراطه في الشراب، وعينين زرقاوين حادتي النظرات، وكان يبدو من هيئته أنه في العقد الرابع من عمره أو دون ذلك بقليل، وقد حياني تحية قلبية خالصة كما لو كان يعرفني من سنين، واستقبلني بحفاوة شديدة وسرور بالغ لم أكن أتوقعهما منه، وجذبني من يدي برفق، ثم نادى أحد الصبية وأمره بإحضار بعض المشروبات المنعشة، ونادى الآخر وأمره بأن يحمل حقيبتي داخل الكوخ.

وأراد الحاكم أن ينسيني ما كنت أشعر به في تلك الآونة من الخجل والارتباك لوجودي في هذا المكان الغريب، فتلطف معي في الحديث وقال:

- إنك لا تعرف كم أنا مسرور برؤيتك، ولا سيما أن ربان السفينة الذي أرسلك إلى من أعز أصدقائي وأخلص رفقائي، ولذلك أرجو أن تعتبر نفسك هنا كأنك في بيتك

فابتسمت له وشكرته بإيماءة من رأسي على أدبه الجم وحسن استقباله إياي...

ولم يلبث مضيفي أن أستاذنني وذهب لينجز بعض أعماله الضرورية التي لا تحتمل التأجيل. فلما فرغ منها عاد إلى وتمدد بجانبي على مقعد طويل من القماش، وأخذ بجانبي أطراف الأحاديث، ويروي لي شيء الكثير من مغامراته ومخاطرته في تلك البلاد...

ولما هبطت درجة الحرارة قليلاً، خرجنا للنزهة، وطفنا ببعض الأجزاء الهامة في تلك المنطقة، ومتعنا أنظار بجمال الطبيعة الساحر، ثم عدنا قبيل الغروب وقد تصببت أجسامنا من العرق، ولم أجد في ذلك الوقت ما ينقذني من تلك الحرارة الشديدة سوى أن آخذ حماماً بارداً. ففعلت.. وقد شعرت من بعده بلذة عجيبة، ونشاط جسماني غريب، أنسياني ما كنت أعانيه منذ لحظات من

ضيق بالغ، وعذاب أليم!

وبعد أن فرغنا من تناول العشاء استأذنت صاحبي أن أنام لأنني كنت منهوك القوى من وعثاء السفر. وبالرغم من أن رفيقي كان يرغب في التحدث إلى طول الليل، إلا أنني أستاذنته مرة أخرى ورجوته أن يرشدني إلى الحجرة التي سأقضي فيها ليلتي. فقال صديقي وهو يقودني من يدي إلى غرفتي:

- كما تشاء يا صاحبي... ولن أثقل عليك الليلة بسماع أحاديثي المملة، وأقاصيصي المتعبة!!

وكانت الغرفة التي أدخلني فيها كبيرة رحبة ذات شرفة واسعة من الجانبين، ومؤثثة برياش بسيط لا بأس به، وفي ركن من أركانها نصب سرير كبير مغطى بكلة رقيقة من الدانتلة البيضاء لتقي من يرقد فيه من لدغات البعوض التي كانت تعد من أخطر الحشرات وأشدها فتكاً بحياة بني الإنسان في تلك الجهات وضحك صديقي وقال لي وهو يشير بيده إلى السرير.

وإن هذا الفراش خشن بالنسبة إليك، ولكنه مع الأسف أحسن ما عندنا في هذه البلاد!

فابتسمت له ابتسامة رقيقة وقلت:

- إن هذا لا يهمني مطلقاً، ولن يؤثر ألبته في نومي ما دمت أشعر بحاجة ملحة إلى الراحة بعد هذه الرحلة المضنية:

ونظر رفيقي إلى الفراش مرة أخرى متمعناً وقال:

- لقد كان آخر من نام في هذا الفراش رجل هولاندي. ولهذا الرجل قصة عجيبة مؤلمة. ولا أجد عندي مانعاً من سردها عليك بشرط أن نسمح لي أولاً بذلك حتى لا يكون في هذا مضايقة لك.

وبالرغم من أنني كنت في حاجة شديدة إلى النوم كما قلت، إلا أن اللهجة التي مهد بها رفيقي لهذه القصة جعلتني أتشوق أسماعها منه، ولذلك لم ألبث أن قلت:

- لا بأس يا صاحبي... أسرد على قصتك وكلي آذان صاغية لك.

فجلس رفيقي على حافة الفراش وجلست قبالته ثم استجمع شتات أفكاره وقال ارتسمت على جبينه آيات التفكير العميق:

- لقد جاء هذا الرجل إلى هنا على نفس السفينة التي أتيت عليها، وقد حضر إلى مكتبي مباشرة وسألني عما إذا كنت أعرف فندقاً في تلك البلدة يمكنه أن يقضي فيه ليلته، فلما أخبرته بأنه لا توجد فنادق في تلك البلدة على الإطلاق هز رأسه متأسفاً وهم بالخروج من عندي بعد أن حياني تحية رقيقة مؤدبة. ولكني لم ألبث أن أشفقت عليه فناديته وعرضت عليه أن يبيت في مسكني، فقبل ذلك بعد تردد قليل. وكان هذا الرجل الهولاندي يحمل في يده قيثارة (كمنجة) صغيرة غالية الثمن، فلما رآني أحدق النظر فيها بإمعان ابتسم لي وقال (إن هذه القيثارة هي كلُّ ما أحضرته معي في تلك الرحلة، وهو تسليتي الوحيدة في أوقات فراغي الممل، ولذلك تراني أعزها وأفضل حملها معي في كلُّ مكان أذهب إليه.)

وكان هذا الرجل ذا وجه شاحب نحيل، ورأس مستدير يعلوه شعر أسود كث، وعينين رماديتين تدل نظراتهما القلقة المتحيرة على ما يعانيه صاحبهما من خوف واضطراب، أما جسمه فكان هزيلاً مفرطاً في الطول بدرجة غير عادية. وكان يلوح عليه أنه تجاوز الأربعين بقليل، وقد دلتني ملامح وجهه الجامدة على ما به من مرض نفساني غريب، إذ كان يتلفت وراءه بسرعة زائدة لأقل صوت يسمعه. وكان يتكلم الإنجليزية بطلاقه عجيبة، ولولا تلك اللكنة الأجنبية التي كانت تظهر في بعض كلماته لظننت أنه إنجليزي قح. وكان يحب الحديث، ويجيد الكلام إلى درجة تضطر سامعه إلى الإصغاء إليه، والانتباه لحديثه بلذة وشغف.

وكان لدى بعض الأعمال الضرورية التي يجب أن انتهى منها على عجل، فطلبت بلطف أن يسبقني إلى الغرفة المجاورة، وأخبرته أنني سأوافيه إليها بعد قليل. وبينا أنا أخاطبه إذا بسكرتيري الخاص يفتح الباب فجأة ويدخل بدون استئذان كما اعتاد أن يفعل ذلك في بعض الأحيان. فارتاع الهولاندي لهذه الأموات، وأخذ جسمه النحيل يرتعد بشدة وعنف من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، وأخرج بسرعة مسدسه من جيبه الخلفي، فذعرت لذلك ذعراً شديداً وصحت فيه بأعلى صوتي قائلاً (ماذا تفعل يا سيدي؟ ولم

أخرجت مسدسك من جيبك؟)

ولما رأى الهولاندي سكرتيري ندم على فعلته ندماً شديداً وشعر ببعض الخجل والارتباك ثم أعاد مسدسه إلى جيبه وتهالك على أقرب مقعد منه وهو يلهث من فرط ما اعتراه في تلك اللحظة، ولما تمالك أعصابه وعاد إليه صوابه قال لي بخجل ظاهر، (أرجو معذرتي يا سيدي فإنني رجل محطم الأعصاب كما رأيت).

فأمنت على كلامه بهزة خفيفة من رأسي وقلت (هدئ روعك يا سيدي ولا تخف من شيء).

ولم يكن يلوح عليه أنه قد أفرط في الشراب حتى تصدر عنه تلك الفعلة المنكرة، وقد ظننت لأول وهلة أنه قد يكون أحد المجرمين الذين يتعقبهم رجال الشرطة، ولكني لم ألبث أن أبعدت هذه الفكرة عن رأسي لأنه ليس من المعقول أن يجازف بالدخول إلى مكتبي وهو يعلم أنني الحاكم العام لهذه المنطقة فيعرض بذلك نفسه لإلقاء القبض عليه في أقرب فرصة، وأسرع وقت:

ولم ألبث أن قلت له مشفقاً (يستحسن يا سيدي أن تستريح قليلاً في الغرفة المجاورة حتى تستعيد هدوئك وتسترد قواك، وسأوافيك إليها بعد قليل...)

فقام من مقعده متثاقلاً وذهب إلى الحجرة المجاورة لمكتبي ولما عدت إليه بعد أن أنجزت عملي وجدته واقفاً في وسط الحجرة وهو يدور ببصره في كلُّ ركن من أركانها، وبالرغم من أنني رأيته قد استرد هدوءه، واستعاد ثباته عجبت لوقوفه وسألته قائلاً (لم تقف وسط الحجرة هكذا؟ إنك تكون أكثر راحة لو تمددت على أحد هذه الكراسي الطويلة...)

ولكنه ابتسم ابتسامة صفراء وأجاب باقتضاب (إنني أفضل الوقوف هكذا!)

فاستغربت جداً لهذه الإجابة المقتضبة وقلت بلهجة لا تخلو الاستياء (إن هذا عجيب منك حقاً، لأن من يراك في وقفتك هذه يظن أنك مراقب، وقد يداخله الشك في أمرك لأول وهلة!)

وحلت الخمر التي شربناها فيما بعد عقدة لسانه، فأخبرني بعد لأي سبب مجيئه إلى هذه البلاد. وقبل إن يسرد علي قصته الغريبة توقف عن الحديث برهة ليستعيد حوادثها وفصولها في ذهنه، فقد جاء - كما اخبرني - من سو مطرة، وقد أساء إلى أحد الصينيين إساءة بالغة فأقسم هذا أن يقتله شر قتلة، فلم يهتم الهولاندي بهذا القسم في مبدأ الأمر وظنه من قبيل التهديد ليس إلا، ولكن الصيني حاول أن يغتاله بعد ذلك مرتين ففشل فخشى الهولاندي على حياته وأعتقد حين إذ انه جاد في قسمه، ورأى من الصواب والحكمة أن يرحل عن هذه الجهات فترة من الوقت ثم يعود أليها بعد أن تسدل الستار على حادثة هذا الصيني اللعين، فسافر إلى بافاريا ليقضي فيها بضعة أيام يروح فيها عن نفسه ولكنه لاحظ الصيني بعد مضي أسبوع من سفره يتسلل خفية في مساء أحد الأيام بجانب حائط المنزل المجاور للفندق الذي حل به مما يدل على انه كان يراقبه مراقبة شديدة ويتحين الفرص الملائمة لقتله. وزاد خوف الهولاندي على حياته حينما تبين له أن هذا الصيني يتبعه أينما سار ويرقبه بنظراته التي كان يتطاير منها شرر الحقد والضغينة، فرحل في صباح اليوم التالي إلى سربيا. وبينما كان يتجول في أحد شوارعها الكبيرة المزدحمة بالمارة بعد ظهر أحد الأيام، التفت وراءه فجأة فرأى الصيني يمشى وراءه بخفة وحذر، وكان على قيد خطوات منه، فلما التقت عيناهما تسلل الصيني كالأفعى واختفى بسرعة بين الجماهير التي كانت تملا الشارع وذعر الهولاندي لهذه المباغة وتأكد تماما أن حياته قد أصبحت مهدة بالخطر، وعاد من فوره إلى الفندق الذي كان مقيما به وحزم أمتعته على عجل واخذ اقرب سفينة إلى سنغافورة ثم نزل بفندق بمدينة فانويك. وبينما كان يتناول طعام الإفطار في بهو الفندق في صباح اليوم التالي لوصوله إلى تلك المدينة لمح الرجل الصيني يرمقه بنظراته النارية الملتهبة من خلال زجاج أحد نوافذ الفندق، وقد التقت إبصارهما للمرة الثانية، فأسرع الصيني بالانزواء خلف أحد الأبواب. وقد اخبرني الهولاندي انه كاد يصعق في مكانه

عند رؤية الصيني للمرة الثالثة. وكان على ثقة وطيدة من انه ينتظر الوقت المناسب، ويترقب الفرصة الملائمة لاغتياله. وقد قرأ ذلك في نظرات عينيه التي كانت تدل على منتهى الغدر والخيانة، وينبعث منهما بريق الضغينة والحقد الكامنين في أعماق نفسه.

وهنا توقف مضيفي عن الحديث، فانتهزت هذه الفرصة السانحة وسألته قائلا:

ولم لم يذهب هذا الهولاندي إلى أحد مراكز الشرطة يحيط رجاله علما بأمر هذا الصيني الأثيم، فيقبضوا عليه، وينقذوه من شره وعدوانه؟

فأجابني محدثي على الفور:

لست أدري سببا لذلك إلا أن يكون قد ظن أن هذا الأمر من التفاهة بحيث لا يجدر برجال الشرطة أن يتدخلوا فيه، وربما يكون هناك سر خفي لا يجب أذاعته بين الناس!

وهنا خطر لي سؤال أخر فقلت:

- وما هي تلك الجريرة التي ارتكبها هذا الهولاندي حتى جعلت ذلك الصيني يصمم على قتله

مهما كلفه ذلك، واضطرته إلى تعقبه ومطاردته في كل مكان يذهب إليه!

فهز رفيقي رأسه متأسفا وقال:

- إنني لا أدري ذلك أيضا لأنه لم يشأ أن يخبرني به، وعندما ألقيت عليه هذا السؤال بدوري، امتقع وجهه ونظر آلي من طرف عينه نظرة غريبة شزراء والتزم الصمت! وقد تبينت من ملامح وجهه الشاحب وجبينه المقطب الكثير التجاعيد أن إساءته لهذا الصيني كانت تستحق القتل، وهنا قدم لي مضيفي علبة سجايره الفاخرة فتناولت منها واحدة وتناول هو الأخرى وأشعل كل منا سيجارته في وقت واحد. وظل رفيقي يدخن برهة وينظر إلى سحب الدخان التي كانت تتلاشى في فضاء الحجرة دون أن يفوه بكلمة واحدة وأخيرا تضايقت من سكوته فقلت:

- وماذا تم في أمر الهولاندي بعد ذلك؟

فاستجمع رفيقي شتات أفكاره واستطرد قائلا:

- كان ربان السفينة التي تسافر بين سنغافورة وكوتشنج ينزل في نفس الفندق الذي نزل فيه الهولاندي بمدينة فانويك في فترات الراحة بين كل رحلة وأخرى. فأنتهز الهولاندي هذه الفرصة الطيبة وترك أمتعته في الفندق ليظلل الصيني وذهب إلى ربان السفينة واتفق معه على أن يمكث في سفينته إلى أن يحين موعد سفرها فقبل الربان ذلك عن طيب خاطر بعد أن نفحه الهولاندي مبلغا كبيراً من المال. وهنالك هدأت اعصابه، وأطمأن خاطره بعض الشيء، وظن انه اصبح بمنجاة من خطر هذا الصيني الذي لم يكن يهتم بشيء قدر اهتمامه بالهرب منه، والفرار من وجهه، والذي اقلق باله، واقض مضجعه، وجعل حياته سلسلة من الألم المتواصل، والعذاب المستمر! وقد شعر بالاطمئنان عند ما وصل إلى كوتشنج، فنزل في فندق منعزل هناك. ولكنه اخبرني انه لم يكن يستطيع النوم بأي حال لان وجه هذا الصيني كان يتمثل له في أحلامه على الدوام، وكثيرا ما كان يراه في خلال نومه وقد امسك في يده خنجرا حادا يلمع نصله المميت في الفضاء، ويهوي به بشدة وعنف على عنقه، فيقوم من نومه فزعا مذعورا، وينتفض جسمه النحيل من شدة الرعب والهلع. وقد شعرت في الحقيقة بحزن عميق، وتأثر كبير نحو هذا الهولاندي التعس وهو يروي لي قصته بصوت أجش مبحوح، ولهجة مترددة متقطعة النبرات من تأثير هذا الرعب الذي استولى عليه. وقد أدركت حينئذ سبب ذلك الخوف الذي استولى عليه حينما دفع سكرتيري باب مكتبي فجأة، وفهمت سر تلك النظرات المتحيرة التي لاحظتها في عينيه، والتي لم يكن لها في الواقع من سبب سوى هذا الخوف وحده دون سواه.

وفي ذات يوم بينما كان يطل من نافذة أحد الأندية في كوتشنج إذ لمح الصيني يمشى في الشارع على مقربة منه! وقد التقت نظراتهما في هذه المرة أيضا! وكاد يغمى على الهولاندي من هول المفاجأة لولا أن تمالك أعصابه وامسك بحافة النافذة بكلتا يديه. وقد خطرت له حينئذ فكرة الهرب من ذلك المكان فغادره على الفور وجاء إلى

هنا دون أن يأتي معه بشيء من أمتعته سوى تلك القيثارة التي ما زلت محتفظا بها عندي إلى الآن. وقد كان متأكدا في هذه المرة من أن الصيني لم يتبعه إلى هذا المكان البعيد.

وهنا قاطعت حديث مضيفي وألقيت عليه هذا السؤل:

- ولماذا اختار الهولاندي هذا المكان دون سواه؟ فأطرق رفيقي برأسه إلى الأرض مفكرا ثم قال:

لأن المفروض في تلك السفينة أن ترسو على ما يقرب من الإثني عشر شاطئا، ولذلك كان من الصعب على الصيني - إذا كان بالفرض موجودا على سطحها - أن يعرف في أي الشواطئ سينزل الهولاندي لان الأخير كان متكتما ذلك بقدر الإمكان حتى أن الربان نفسه لم يكن يعرف وجهته بالذات. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فانه كان قد تنكر بحيث يتعذر على الصيني أو أي شخص آخر معرفته.

- وهنا سكت رفيقي برهة ريثما يسترد أنفاسه ثم أردف قائلا:

- ولما وصل الهولاندي إلى هنا قال لي وهو ينظر حوله بارتياح (إنني هنا في أمان، وإذا

أمكنني أن أظل هادئا لبضعة أيام أخر، فأنني لا البث أن استعيد صحتي، واسترد أعصابي

المنهوكة المتعبة!) فابتسمت له حينئذ وقلت مشفقا (امكث كيفما شئت وستكون بأحسن حالاهنا إلى أن تأتي السفينة التالية في الشهر القادم، وإذا شئت أن أراقب الذين يفدون إلى هذا

المكان فأنني على أتم الاستعداد لذلك).

فشكرني بلطف على عنايتي به، واهتمامي بأمره وقال (أظن انه لا داعي إلى ذلك ما دمت هنا في أمان).

وقد قدته بعدئذ إلى غرفته. فلما صار بداخلها اخذ يفحصها بعناية واهتمام ثم اغلق النوافذ والأبواب بالرغم من أنني أقنعته بأنه ليس هناك ما يستوجب كل هذه الاحتياطات.

ولما تركته أغلق ورائي باب الغرفة إغلاقا منيعا محكما كما لو كان يتوقع أن يهاجمه أحد!

وفي صباح اليوم التالي سألت الخادم الذي احظر لي طعام الإفطار عما إذا كان الهولاندي قد استيقظ من نومه، فأخبرني بأنه سيذهب ليراه. وقد سمعته بعدئذ وهو يقرع باب غرفته مرات دون أن يفتح له. فلما لم يسمع أي إجابة من الداخل طرق الباب اكثر من ذي قبل ولكن بلا فائدة. وهنا ساورني بعض القلق لأجله فقفزت من مقعدي وهرعت بدوري إلى غرفته وطرقت الباب بكلتا يدي طرقا عنيفا متواصلا ولكن بدون جدوى. وأخيرا دفعت الباب بكل قوتي ودخلت الغرفة ثم اتجهت إلى الفراش وأزحت الكلة بيدي، فوجدت الهولاندي قد فارق الحياة. وكانت عيناه جاحظتين وفيهما أثر رعب هائل، وفزع مخيف.

ووقع نظري في تلك اللحظة على خنجر غائر النصل في عنقه الأبيض العاري. وقد فتشت الغرفة قطعة قطعة وجزءا جزءا علي اعثر على أحد. فلم أجد أثرا يدلني على المجرم. والشيء الذي أدهشني وحيرني اكثر من غيره هو الكيفية التي دخل بها المجرم إلى مسكني بالرغم من أنني اتخذت كل الاحتياطات اللازمة لمنع أي كائن غريب من الدخول أليه ونبهت على الخدم بمراقبة كل شخص يستريبون فيه أو يشكون في أمره. ولكنني ارجح أن المجرم قد دخل من النافذة إذ من الممكن فتحها من الخارج. ولما كانت غرفة الهولاندي في الطابق الأول، فمن هنا يسهل التسلق اليها، والدخول فيها دون أحداث أي جلبة أو صوت.

وأخيرا سكت محدثي ليشعرني بانتهاء قصته. فلما رآني غير مرتاح إلى هذه النهاية المحزنة نظر آلي متأسفا وقال:

أظنك غير مرتاح إلى نهاية هذه القصة؟

فنظرت أليه نظرة حالمة وقلت:

إنها لا بأس بها على أي حال، ولكني كنت افضل سماعها في صباح الغد عند تناول الإفطار.

فضحك صديقي ضحكة قصيرة خافتة وقال:

أرجو المعذرة لأنني لم أكن أظن أنها ستؤثر في نفسك إلى هذا الحد.

قال ذلك ثم حياني تحية المساء واغلق وراءه باب غرفتي وانصرف.

obeikandl.com

قدح من الشاي
كاترين مانسفيلد

لم تكن روزماري جميلة كل الجمال، فلا تستطيع أن تعدها جميلة. قد تكون حلوة إذا فحصتها قطعة قطعة. . . ولكن لماذا تبلغ قسوتك إلى حد تقطيعها إربا؟ فقد كانت في ميعه الصبا، ذكية،، مطلعة، عصرية، أنيقة. وكانت حفلاتها ألذ مزيج من أبرز الشخصيات. . . والفنانين - مخلوقات نادرة اكتشفتها بنفسها. . .

وكانت روزماري متزوجة من رجل يحبها حباً شديداً؛ وكان الزوجان غنيين كل الغنى؛ فإذا أرادت روزماري أن تبتاع شيئاً ذهبت إلى باريس كما تذهب أنت وأنا إلى شارع بوند، وإذا أرادت أن تشتري بعض الأزهار وقفت بها السيارة أما أفخم المحال في شارع ريجنت، وقالت روزماري وهي في المحل بطريقتها المدهشة (أريد هذه المجموعة وهذه وهذه، وأعطني أربع باقات من هذا النوع وأصيص الورد ذاك. . . نعم سآخذ كل ما فيها. لا. . . دع النرجس فمنظره لا يروقني).

فيحني العامل رأسه ويخفي النرجس عن النظر كما لو كان ما قالت عنه هو الحقيقة. ثم تتبعها إلى السيارة عاملة نحيلة تترنح بما على ذراعيها من باقة بيضاء تشبه طفلا في ملابسه الطويلة.

ذهبت روزماري في يوم من أيام الشتاء لشراء شيء من محل تحف أثرية وكان يعجبها ذلك المحل لمبالغة صاحبة في التلطف في خدمتها، فكان يشرق وجهه عند دخولها ويقبض يديه ويكاد لا ينطق من فرط احترامه لها وإعجابه بها. وكل هذا تملق طبعا.

وبدأ الرجل كعادته يشرح لها بصوت كله هدوء، وحركات كلها احترام (إني أعتز بتحفي فأفضل ألا أبيعها أبدا على أن أبيعها لشخص لا يقدرها حتى قدرها أو لشخص يفتقر إلى حاسة تذوق

الجمال) ثم تنهد وأخرج علبة من القطيفة الزرقاء وضغطها على المائدة الزجاجية بأطراف أصابعه الشاحبة.

وما كان ليحتفظ لها بهذه العلبة الصغيرة التي لم يعرضها على أحد قبلها إلا لندرتها ودقة صنعها وبهاء صقلها.

وأخرجت روزماري يديها من القفاز الطويل لتفحص هذه العلبة التي أعجبت بها وأحبتها وصممت على اقتنائها ثم لاحظت جمال يديها على القطيفة الزرقاء وهي تفتح العلبة وتقفلها. وربما جرؤ البائع أن يلحظ هذه الملاحظة عينها في نفسه لأنه تناول قلما وانحنى على المائدة وزحفت أصابعه الشاحبة لي تلك الأصابع الوردية المتوهجة وقال بلطف (لو سمحت لي سيدتي أن أريها الأزهار على غطاء العلبة).

فأبدت روزماري إعجابها بالأزهار وتساءلت عن الثمن. بيد أن البائع لم يسمعها في اللحظة الأولى. وأخيراً طرق سمعها (28 جنيهاً يا سيدي).

(28جنيها؟) لم تنبس روزماري ببنت شفة ووضعت العلبة ولبست قفازها (28 جنيهاً) حتى إذا كان المرء غنيا؟... واضطربت روزماري وحملقت في إبريق شاي ضخم يعلو رأس الرجل وأجابت بصوت حالم (حسنا، أيمكنك أن تحتفظ بها لي؟ - سوف...).

ولكن البائع انحنى كما لو كان احتفاظه بها لها واجباً معروفاً وخرجت روزماري وأوصدت وراءها الباب وتأملت في الجو الممطر، وكان المطر يتساقط رذاذا وبدأ الظلام يخيم على الدنيا كالرماد المتهاوي، واشتد البرد وبدت المصابيح المضاءة حزينة وكانت الأنوار في المنازل المقابلة معتمة تحترق كأنها تتحسر على فقد شيء وكان الناس يتعجلون السير وقد شرعوا مظلاتهم.

وشعرت روزماري بألم غريب وضغطت بقفازها على صدرها وتمنت لو أن العلبة الصغيرة كانت معها لتتعلق بها أيضاً. ثم نظرت إلى سيارتها التي كانت تنتظرها في الشارع وفكرت في الذهاب إلى المنزل لتناول الشاي.

ولكن في لحظة تفكيرها في ذلك جاءتها من حيث لا تدري فتاة

نحيلة قاتمة اللون وقفت قرب مرفقها وصدر منها صوت اقرب إلى الأنين منه إلى التنهد (أيمكنني أن أتحدث إليك لحظة يا سيدتي؟).

قالت روزماري (تتحدثين إلي أنا؟) ولتفت لترى مخلوقاً صغيراً مهدوما ذا عينين جاحظتين تتعلق يداه المحمرتان بياقة معطفها ويرتعش كما لو كان قد خرج توا من الماء.

تلجلج الصوت وقال (سيدتي! أسألك ثمن قدح من الشاي).

(قدح من الشاي؟) ولما كان في ذلك الصوت بساطة وإخلاص لا يجتمعان في صوت شحاذ سألتها روزماري (إذن ليس معك نقوداً أبداً؟).

(أبداً يا سيدتي).

(يا للعجب) وتنهدت روزماري وتطلعت إلى الظلام وحملقت الفتات في وجهها.

وفجأة تصورت روزماري مغامرة أوحت إليها بها هذه المقابلة في الظلام تشبه شيئا من رواية للكاتب العظيم دستوفسكي. لتفرض أنها صحبت هذه الفتاة إلى منزلها؟ ماذا كان يحدث لو أنها عملت شيئا مما طالما طالعته في الكتب ورأته على المسرح؟ سوف يكون شيئا رائعا... ثم خطت روزماري إلى الأمام وقالت للفتاة (تعالي إلى منزلي لتتناولي الشاي معي).

فصعقت الفتاة لهذا العرض المدهش وارتعشت من شدة الاضطراب فمدت روزماري يدها ولمست ذراعها وقالت وهي تبتسم (إني أعني ما أقول) وشعرت بمبلغ بساطة ابتسامتها ورقتها فأضافت (ولم لا؟ افعلي. تعالي معي في سيارتي).

أجابت الفتاة بصوت مفعم بالألم والحزن: (انك لا تعنين ما تقولين يا سيدتي).

فصاحت روزماري: (ولكن جادة فأنا أريدك أن تفعلي أرجوك أن تأتي معي).

وضعت الفتاة أصابعها على شفتيها وأنعمت النظر في روزماري وتساءلت بصوت متلجلج

(أتأخذينني للبوليس؟).

(البوليس!... ولم ذا تبلغ قسوتي هذا الحد؟ لا، لا. فكل ما أريد هو أن أدفئك وأسمع منك أي
شيء يهمك أن تقصيه على).

ولما كان من السهل قيادة الجياع تبعت الفتاة روزمارى إلى سيارتها.

وامتلأت روزمارى بشعور النصر وكادت تقول (الآن ظفرت بك) وهي تحملق في الأسيرة الصغيرة. ولكن ذلك لم يجردها من رقة شعورها وعطفها بل أرادت أن تثبت لهذه الفتاة أن أشياء عجيبة قد تحدث في الحياة وأن للأغنياء قلوبا وأن النساء أخوات.

ثم التفتت روزمارى مهتاجة قائلة (لا تخافي ولم لا تجيئين معي؟ أنا امرأة مثلك وان كنت منك حالا. فعليك أن تنتظري مني...).

وفي تلك اللحظة وقفت السيارة لحسن حظها لأنها لم تعرف كيف تنهي هذه الجملة. ثم دق الجرس وفتح الباب ودفعت روزمارى الفتاة إلى داخل الصالة بحركة لطيفة تكاد تكون عناقا وهي تقول:

(تعالي إلى الطابق الثاني. تعالي إلى غرفتي) وأرادت أن تحمي هذا المخلوق من نظرات الخدم فصممت وهما تصعدان الدرج على ألا تدق الجرس لخادمتها جان وعلى أن تخلع ملابسها بنفسها.

صاحت روزمارى عندما وصلا إلى غرفة نومها الجميلة بستائرها المسدلة ووسائدها المذهبة ونمارقها الزرقاء والنار تضئ ما حولها من أثاث فخم والأزهار تملأ الغرفة عبيرا حلوا: هانحن هاتان!

لم تعبأ روزمارى بوقوف الفتاة مذهولة على الباب وجرت مقعدها المريح نحو النار وصاحت (تعالي اجلسي على هذا المقعد المريح. تعالي ليدب الدفء إلى فيبدو عليك أنك تنوئين تحت وطأة البرد).

قالت الفتاة وهي تتراجع إلى الوراء (أنا لا أجرؤ يا سيدتي).

فتقدمت روزماري إلى الأمام وقالت: (أرجوك يجب ألا تخافي اجلسي. وعندما أنتهي من خلع ملابسي سننتقل إلى الغرفة المجاورة لنحتسي الشاي. مم تخافين؟) ودفعت الهيكل النحيل في

مهده العميق.

ولم يصدر من الفتاة جواب، بل بقيت كما أجلست، يداها إلى جانبيها وفمها مفتوح قليلا، وإذا شئنا الإخلاص في الوصف قلنا إنها بدت غبية. ولكن روزماري لم تعترف بذلك وانحنت عليها قائلة (ألا تخلعين قبعتك؟ إن شعرك الجميل مبلل ويحس المرء كثيراً من الراحة وهو عاري الرأس... أليس كذلك).

فخلعت الفتاة القبعة البالية وهي تقول همساً: (حسناً سيدتي) فقال روزماري: (دعيني أساعدك على خلع معطفك منك أيضاً).

فوقفت الفتاة ولكنها أمسكت المقعد بإحدى يديها وتركت روزماري تنزع عنها المعطف؛ ولكنها تذكرت أنه إذا رام الناس العون فعليهم أن يضحوا ولو قليلاً وإلا تعذر العون في الحقيقة. وماذا كانت تفعل بالمعطف الآن؟ تركته على الأرض مع القبعة.

ولما همت بتناول سيجارة من علبتها المعدنية قالت الفتاة بسرعة ولكن بخفة وغرابة (معذرة يا سيدي، لا سيغشى علي سأموت إن لم آخذ شيئاً يا سيدتي).

(يا الله! كم أنا طائشة) وأسرعت نحو الجرس (شاي! شاي بسرعة! وقليل من الكونياك في الحال).

وكانت الخادمة قد مضت ولكن الفتاة كادت تصحيح (لا، لا أريد خمراً فأنا لا اشربها أبداً. إنه قدح من الشاي الذي أريد يا سيدتي) ثم انفجرت في البكاء.

كانت لحظة مؤلمة ساحرة. جثت روزماري بجانب مقعدها وقالت (لا تبك أيها الشيء الصغير الضعيف. لا تبك (وقدمت إليها منديلها الحريري ولفت ذراعها حول تلك الأكتاف العصفورية النحيلة.

وأخيراً نسيت الفتاة الخجل، نسيت كل شيء إلا أن كلتيهما امرأة فقالت (لا أستطيع الاستمرار على هذه الحال. لا أحتمل. سأموت جوعاً).

(لن تموتي جوعاً فسأعنى بك. لا تبكي. ألا ترين كم كان جميلاً

أنك قابلتني. سنحتسي الشاي معاً وستخبرينني بكل شيء وأعدك أن أدبر لك أمرك أرجو أن تكفي عن البكاء لأنه شيء مضن).

وكفت عن البكاء عندما وقفت روزماري قبل حضور الشاي لتضع المنضدة بينهما. ثم زودت المخلوق الصغير الضعيف بكل شيء، جميع أنواع الشطائر والخبز والزبد، ولما فرغ قدحها ملأته لها بالشاي والحليب والسكر فطالما قال الناس إن السكر منعش جداً. أما روزماري نفسها فلم تأكل بل كانت تدخن وتنظر للخارج عمداً حتى لا تخجل الأخرى.

وفي الحقيقة كان مفعول تلك الأكلة الخفيفة عجيباً. فلما حملت منضدة الشاي خارجاً كان يتمدد على المقعد إنسان جديد، مخلوق خفيف ضعيف ذو شعر مجعد وشفاء قاتمة وعيون غائرة مضيئة، كان يتمدد هذا المخلوق في نوع من الاسترخاء الحلو ناظراً إلى اللهب متأملا فيه.

وأشعلت روزماري سيجارة جديدة وبدأت حديثها بكل لطف (ومتى تناولت آخر أكلة؟) ولكن في تلك اللحظة تحرك مقبض الباب وسمع صوت من الخارج (رزوماري! أيمكنني الدخول؟) كان هذا زوجها فيليب.

أجابت روزماري (طبعاً).

دخل فيليب ووقف محملقاً بضع لحظات ثم قال (إني آسف لإزعاجكما).

(لا داعي للأسف فكل شيء على ما يرام (هذه صديقتي الآنسة. . .).

(سميث، يا سيدتي).

قالت روزماري (سميث وسنتجاذب أطراف الحديث لمدة قصيرة).

قال فيليب (حسنا)، ولاح بصره المعطف والقبعة على الأرض، ثم اتجه نحو النار وأدار ظهره إليها (إنه مساء كئيب) قال ذلك بغرابة مصوباً نظره نحو الشبح المتغافل ثم نحو روزماري ثانية.

فقالت روزماري بلهجة غير عادية (نعم. أليس كذلك؟).

فابتسم فيليب ابتسامته الساحرة الساخرة وقال لزوجته (في الحقيقة أود أن تجيئي إلى المكتبة لحظة. هل تسمح لنا الآنسة سميث؟).

فحدقت العينان الكبيرتان الغائرتان في فيليب ولكن روزماري أسرعت وأجابت عنها قائلة (طبعاً تسمح) ثم خرجا من الغرفة معاً.

ولما انفردا قال فيليب (وضحي لي من هي، وما معنى كل هذا؟).

فاستندت روزماري إلى الباب وهي تضحك قائلة (التقطتها من الشارع. سألتني ثمن قدح الشاي فأحضرتها معي إلى هنا).

فصاح فيليب (ولكن بالله عليك ماذا أنت فاعلة بها؟).

فقالت (كن لطيفاً معها) كن رقيقاً إلى أقصى حد. . . اعتن بها لا أعرف كيف. . . لم نتحدث بعد. . . لم نتحدث بعد. . . ولكن أظهر لها - عاملها - اجعلها تشعر -)

أجاب فيليب (يا طفلتي العزيزة! أتعرفين أنك مجنونة تماما! إن هذا الذي تطلبين شيء يستحيل عمله).

فأجابت روزماري (كنت على يقين من أنك ستقول ذلك ولكن لم لا؟ أريدك أن تعمله؟ أليس هذا سبباً؟ وعلاوة على ذلك يقرأ المرء دائما عن هذه الأشياء فصممت -).

فقال فيليب ببطء وهو يقطع طرف سيجارة (إنها حلوة للغاية).

(حلوة؟ ودهشت بل حنقت روزماري لدرجة أن وجهها احمر وقالت (أتظن ذلك؟ أنا - أنا لم أفكر في ذلك).

فأشعل فيليب ثقاب كبريت وقال (إنها رائعة لجمال. انظري ثانياً يا طفلتي لقد اهتزت مشاعري لما دخلت حجرتك الآن. وعلى كل حال. . . أظنك تخطئين خطأ كبيراً. إني آسف يا عزيزتي إن كنت أبدو وقحاً أو شابه ذلك ولكن عرفيني هل ستتناول الآنسة سميث طعام العشاء معنا في أثناء مطالعتي جريدة المساء؟).

قالت روزماري (يالك من مخلوق ماجن عابث!) وخرجت من المكتبة ولكن لم تعد إلى حجرة نومها بل ذهبت إلى مكتبتها. وهي تردد: (حلوة! رائعة الجمال! اهتزت مشاعري! حلوة! جميلة!).

أخرجت روزماري دفتر شيكاتها، وغنى عن القول أنه لا قيمة للشيكات في هذه الحال. ففتحت درجاً وأخذت خمسة جنيهات ونظرت إليها وردت منها اثنين ثم رجعت إلى غرفة نومها ممسكة بالثلاثة الباقية في يدها.

وبعد نصف ساعة كان فيليب لا يزال في المكتبة لما دخلت روزماري وهي تقول وقد استندت إلى الباب ثانية ونظرت إليه بتفرسها المدهش المصطنع: (إن الآنسة سميث لن تتناول طعام العشاء معنا هذا المساء).

فوضع فيليب الجريدة جانياً وقال (آه! ما الذي حدث؟ موعد سابق؟).

فجاءت روزماري وجلست على ركبتيه وقالت (أصرت على الذهاب فأعطيتها منحة مالية.

لم أستطيع أن أبقيها برغم إرادتها).

ثم أضافت بلين (أكنت أستطيع أن أفعل).

وكانت روزماري قد سوت شعرها تواً وكحلت عينيها قليلاً وتحلت بجواهرها فبدت رائعة الجمال عندما رفعت يديها ولمست خدود فيليب وقالت (أتحبني؟).

فأعجبته نغمتها الحلوة ولكن أزعجه صوتها الأجش فقال (أحبك حباً عنيفاً) وضمها إلى صدره (قبليني يا روزماري).

ثم سادت جو الحجرة فترة سكون قصعتها روزماري بصوت حالم (رأيت علبة صغيرة فاتنة اليوم ثمنها 28 جنيهاً أأستطيع شراءها؟).

فأجابها فيليب (تستطيعين أيتها الصغيرة المبذرة).

ولكن لم يكن ذلك ما أرادت أن تقوله روزماري في الحقيقة فإنها همست في أذن زوجها وضمت رأسه إلى صدرها وقالت (هل أنا جميلة يا فيليب؟).

لا قدر الله. . .!

أوسبرت سيتويل

لست أعرف بعد كيف ستنتهي هذه القصة، فإن ما سأقصه عليك إنما حدث صباح أمس، قبل أن أغادر السفينة في السويس.

جلست على كرسي طويل من القماش، وإلى جانبي أكداس من الكتب وصحفة حساء فارغة، أتطاول ببصري إلى الفضاء المكلل بالغمام، الفضاء الخاوي الذي لم يخفف من وطأته على الصدر سمك يتواثب فيسلي المسافرين. بدا كل شيء دفيئاً رطباً بالغ الرطوبة. وكانت حافة السماء تتدلى منها أعلام مهلهلة من السحب، وقد ذابت فيها حافة البحر. وكان الرجل الجالس بجواري قد بسط على حجره كتاباً مفتوحاً، وإلى جانبه أيضاً عدة كتب، وكان هو الآخر يحملق بنظرة ثابتة إلى المنظر المائي الخاوي. كان البحر يثير روحاً من الكآبة والاغتمام، لا يساعد على احتمالها إلا ما تبعثه في النفس من الفتور والكسل، وأنها تولج اليوم في اليوم فتحمل أناسا كثيرين على الاعتقاد بأنهم لابد قد تمتعوا بالرحلة مادام الوقت قد مر بهذه السرعة. كان من الواضح أن هذه الروح الكئيبة المغتمة تخيم علي وعلى جاري أيضاً. كان جاري طويل القامة نحيفاً دقيق اليدين، وكان يبدو على خلقته حساسية بالغة الارهاف، وساءلت نفسي من تراه يكون. . . لم تكن الكتب التي بجواره تساعدني على إجابة هذا السؤال، إذ كانت متنوعة: ترجمة لمجموعة شعر إغريقية، ورواية عصرية، وكتاب علمي، ودراسة لسيرة أحد السياسيين، ومجموعة من القصص القصيرة الحديثة. ثم لاحظت معها كتاباً من كتبي، وهو ذلك المسمى (الرجل الذي فقد نفسه) وبغتة حوَّل عينيه عن الماء وخاطبني قائلا: (أتحب البحر؟). فأجبت: (نعم أنا أحبه، نوعاً من الحب،

على الرغم من ملاله، وما يبعث في لسوء الحظ من الرعب. أنني بحار ماهر، ولكن حين يتمدد الآخرون في فرشهم الخشبية يتمنون لو أنهم يغرقون، أتمدد أنا على فراشي الخشبي، مرتدياً جميع ملابسي، أبتهل إلى الله ألا أغرق، وأفكر في الخضم الشاسع من المياه الذي يتلاشى فيه رأس الإنسان فلا يكاد يكون شيئاً. ذلك هو السبب في أنني أفضل البحر الأبيض المتوسط، حيث نكون عادة على مرأى من البر. . . لكن يبدو أنه قد اختفى كلية في هذا اليوم. . . بل ليتني أبلغ قناة السويس، فإني أرتقب أن أحظى بوقت ممتع).

قال: (نعم أنا أعرف هذا الشعور، فإنه يداخلني أنا أيضاً بعض الشيء. وما دمت أنت كاتباً، فسأقص عليك قصة عنه ولكن أرجو ألا تكون ممن يؤمنون بالطيرة والفال.

ربما لا تستحق هذه القصة أن تسمى قصة في واقع الأمر. هي شاهد أكثر منها قصة، أو هي برهان على إحدى النظريات. . . هذه النظرية، أو المغزى، هي تلك النظرية القديمة البديهية التي شغف أحد الروائيين المحدثين بترددها، وهي أن ما تشعر به يكون أشد صدقاً، ولا بد أن يكون دائماً أشد صدقاً، من مجرد الفكرة التي تدور بخلدك. أو بعبارة أخرى، اعتمد في حكمك على اللمس، لا على البصر. ولكن الناس في هذه الأيام تعوزهم الشجاعة التي تجعلهم يعملون كما يشعرون، فهم يعملون طبقاً للعقل، ثم يحاولون أن يخترعوا تفسيراً منطقياً فيما بعد، يفسرون به الأشياء الفذة التي تحدث لهم. لكن لا جدوى من وراء هذا مطلقاً.

كانت السفينة مبحرة إلى أمريكا الجنوبية. غادرت تلبري في عصر يوم ممطر من أيام ديسمبر، ولكن في اليوم التالي كان البحر هادئاً كأنه بركة زرقاء في فصل الصيف. واستمر كذلك ثلاثة أيام، حتى عندما عبرنا خليج بسكاي. ولكن برغم هدوء البحر تأخرنا عن الوصول إلى لشبونة، حتى إذا وصلنا إليها اخذ موظفو الميناء يتجادلون جدالا لا ينتهي، كأنهم عقدوا العزم أن نتأخر عن الإقلاع من الميناء. وقفت أرقب المسافرين النازلين وأستمع إلى المشاجرة البرتغالية الصاخبة تعلو وتتناثر كأنها صواريخ مبتلة، بين وكيل

السفينة وأحد موظفي الجمرك. . . لم يكن بين المسافرين الجدد من يلفت النظر إلا امرأة إنكليزية وزوجها. كانت جميلة حقاً، ولكن جمالها كان من نوع عجيب، كأنها إلهة القدر الإغريقية. كانت عيناها واسعتين ذواتي زرقة عميقة، يمكن أن تقرأ فيهما معاني كثيرة، أحدها صادق وكثير منها كاذبة. كانت قسماتها المذعورة الحجرية كأنها تمثال كلاسيكي، يكمن فيه شيء من المأساة. ثم إني ظننت أو الأحرى أن أقول أحسست أن بقسماتها شيئاً من حورية البحر. إذ انتمت عيناها إلى البحر. . . كان زوجها إلى جانبها يبدو عادي المظهر. لكن منظرها الفذ كان مقتصراً على محياها، أما ملابسها فكأنها.

اختيرت بحيث تمحو الأثر الذي يخلفه جمالها العجيب، وتحط من سموه وتجعله عادياً مألوفاً.

في الصباح التالي كنت جالساً على ظهر السفينة، كما أنا جالس الآن معك، فوجدتني مجاوراً لهما. وبعد أن بعثنا برهة بكتبنا عبثاً يشابه في اضطرابه حركة السفن واهتزازها - حقاً إن هناك رابطة قوية بين دوار البحر والكتب المطبوعة - بدأنا نتحدث قليلاً. وحين تحدثا لم يتركا في النفس أثرا غير عادي، وكان صوتها هادئاً مليئاً بالاهتمام ثابت النبرات وإن كان فارغاً بعض الشيء، ولم يكن به أي عنصر غريب من المأساة أو من النبوءة. ولكن برغم ذلك عرفت، بل شعرت وأحسست، بأنها كانت تصلها بتلك العناصر الغريبة صلات وثيقة. تجاذبنا أطراف الحديث ساعتين أو أكثر، وكان البحر قبل ذلك هادئاً كالبساط، ولكنه بدأ في خلال محادثتنا تظهر عليه علائم التغير الأكيدة. وكأنه كان يحاول اختبار قواه ليستخدمها في مناسبة مقبلة. فصفرت في جنباته رياح هينة، وأخذت السفينة هزةٌ أثارت المزاح والضحك المعهودين بين الشبان من المسافرين الذين كانوا يتنقلون على ظهر السفينة في جلبة، وضاعفت من حماسة اللاعبين في لعبهم المختلفة، فازدادوا مرحاً، حتى يخفون ما شعروا به من بداية التقزز والغثاثة. . . تسألني عم كنا نتحدث؟. . . قد نسيت، ولكنها كانت أشياء مختلفة، من

السياسة، والأسفار، والكتب الكتب البريئة المملة.

ولكن كلما مرت دقيقة ازداد التحدث صعوبة، إذ ارتفعت بين آونة وأخرى أصوات الأشياء المتصادمة، ازدادت الريح دوياً، وإن كان الركن الذي انتحيناه محمياً هادئاً بعض الشيء. . . أخبرتني أنهما كانا ذاهبين إلى بونس أيرس، حيث يمكثان أسبوعاً، ثم يعودان إلى وطنهما مباشرة. فإن المستر روفني - وهذا اسم زوجها - كان مريضاً، وقد نصحه الطبيب بالقيام بهذه الرحلة البحرية. وقال الزوج: (لقد حاولت أن أثني زوجتي عن المجيء، ولكنها ألحت. أنا لم أغرك بالمجيء يا حبيبتي، أليس كذلك؟ لقد بذلت كل جهدي لمنعك).

كلا، لست أستطيع أن أتذكر كل المحادثة بجلاء، وإنما أتذكر شيئاً أو شيئين من هذا القبيل. أتذكر المسز روفني تقول، بصوتها الحازم الذي لا يقبل أي سخف أو عبث، والذي كان مع ذلك فارغاً بدرجة عجيبة، ذلك الصوت الذي نطق بالأشياء كأنه لا يعنيها - أتذكرها تقول:

(مهما يكن من شيء. فأنا مؤمنة بالقضاء والقدر. أنت لن تستطيع النجاة مما سيحدث لك فهذا هذا، وما عليك إلا أن تتقبله بأحسن ما في استطاعتك. لن يستطيع ثعلب أن ينجو إلى الأبد، إذا كانت كلاب الصيد تطارده). . . أنا أتذكر ذلك جيداً، فإن هذه الملاحظة، برغم أنها شيء معهود طالما سمعناه على الرغم منا، ضايقتني إذ ذاك أشد مضايقة، حتى كدت لا أكتم سخطي؛ إذ وجدتها لا تنسجم مع ذلك الجمال العجيب، أو ذلك الوجه الذي كان يبدو مترقباً لحد الانفعالات العاطفية العظمى - وكنت واثقاً أن هذا الانفعال هو الخوف - فما يجئ هذا الانفعال حتى يصير ذلك الوجه آية رائعة من التعبير. . . ولكن ما أكثر ما ينطق الناس في هذا المجال بأفكار تخيب ظن المرء إذ لا يجدها تنسجم معهم. . . ثم إنها استرسلت تتحدث عن الأسواق في مقاطعات إنكلترة، وأسلمت نفسها إلى نوبات طفيفة من الاعتداد بالذات لم تنسجم معها أيضاً.

ولكني ساءلت نفسي في ذلك الوقت: أكانت حقاً نوبات من الاعتداد بالنفس؟ لقد شعرت بأنها أدخلتها في الحديث لا لتحدث وقعاً على نفسي بل لتدخل الراحة والاطمئنان على نفسها هي. فإن مثل هذا الاعتداد بالنفس يرتبط بالحياة اليومية، والحياة اليومية هي عادة خالية من البطولة والبسالة ومن النكبات والمآسي، كما أن الأفكار التي عبرت هي عنها كانت أفكار الحياة اليومية العادية. وقد تشبثت هي بهذه الأفكار لأنها كانت تتوق أشد توق إلى أن تقنع نفسها بأن حياتها ليست في حقيقتها إلا من ذلك النوع العادي، وأنه ليس من وجود فعلى لتلك النكبة العظيمة والمأساة القديمة التي ترتبط بها والتي هربت منها. فكل فكرة عبرت عنها، وكل مناسبة أشارت إليها، كانت كأنها تقرص نفسها لتتأكد من أنها صاحية ومن أن الكابوس المخيف قد زال. . .

ازداد الطقس اضطراباً، ولم أرهما بعد ذلك في ذلك اليوم. فقد تضاعفت حدة الزوبعة فلم يعد أحد ليجد متعة في الرحلة البحرية. بل لم يعد من المستطاع أن ينام المرء، وإن كانت الزوابع في العادة تجعلني أستغرق في النوم. فإن طرق عينك السبات لحظة واحدة في الليل فلا بد أن يوقظك في الحال صوت الأبواب تنفتح وتنصفق وتتصادم، أو يوقظك إحساس عجيب بأن الروح نفسها، تلك الذات النفسانية التي بني حولها الجسد، قد تنقلت من مقرها بعض الشيء. . . يسائل المسافرون أنفسهم، كعادتهم في خلال رحلة بحرية: (لم قمت بهذه الرحلة؟) ولكني لم أشعر إلا بشعور واحد، شعور طالما أحسست به في المحيط الأطلنطي، وإن كنت قد قمت فيه برحلات كثيرة لم يكن عنها من محيد، ذلك الشعور هو الرعب. لم يغلبني دوار البحر، وإنما شعرت بالرعب من تلك الأودية الباردة في أعماق المياه تحت سطح البحر، تلك الأودية اللانهائية المتعرجة التي أخبرنا بأنهافي عمقها تماثل جبال البر في علوها. . . (وبهذه الناسبة (سامحني لقطعي حبل قصتي) ألم يزد الطقس اضطرابا منذ بدأنا حديثنا، أم ليس هذا إلا وهماً من أوهام مخيلتي؟).

فاضطررت إلى أن أعترف بأن الطقس قد تغير؛ فقد بدأت السفينة تترنحبصورة غير منتظرة.

(لقد ظننت كذلك) قال ذلك وتوقف برهة، ثم استرسل: (على أية حال ستكون القناة هادئة... ولكن لأستمرفي قصتي: من حسن الحظ أنني كنت سأغادرالسفينة في ماديرا، ولم يكن دونها إلا رحلة يومين. ولكن كم تشوقت إليها في ذينك اليومين، تلك الدرة البديعة المستقرة في وسط المحيط تحت غطاء سحاب الأطلنطي)..

كان اليوم التالي سيئاً للغاية، بحيث لم يعد المرء يهتم بشيء ما لا بالطعام ولا بالشراب ولا بالنوم ولا بالمسافرين: ولكني لاحظت مع ذلك أن المستروروفني جلس إلى طعام الغداء وحيداً... وفي الصباح التالي بدا كأن الزوبعة قد هدأت قليلاً، وفي أثناء تجوالي على ظهر السفينة قابلته.

صحت بحماسة كاذبة: (صباح الخير. . .! كيف أنت في هذا الصباح... يؤسفني أن أراك وحيداً).

فأجاب: (نعم إنه شيء مقلق. كم تمنيت أن يكون الطقس لطيفاً... فإننا نقترب من ماديرا الآن، وينبغي أن لا يكون الطقس هكذا... إنني أصارحك بأنه يزعجني... ليس ذلكلن زوجتي غير متعودة على الأسفار البحرية - فإنها الآن لا تشعر بالدوار- بل الحق أن الرعب يتملكها في أي سفينة!)

قلت: (ليس هذا شيئاً مخجلاً، فأنا أيضاً مرتعب... وأعتقد أن كثيرين جداً من الناس هم أيضاً كذلك، لو أنهم اعترفوا بالحقيقة!)

أجاب: (قد يكون هذا صحيحاً... ولكن الأمر مختلف بالنسبة إليها فإن آخر رحلة بحرية قامت بها كانت في (التيتانيك) وقد غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة، ولم تنج هي إلا بمعجزة... ولسنين عديدة رفضت أن تركب على سطح سفينة على الإطلاق، بل إنها أبت أن تقوم برحلة القناة الإنكليزية التي لا تستغرق إلا ساعة واحدة، مع إنها قبل ذلك كانت مغرمة بباريس... وسأذكرلك شيئاً غريباً: قد يكون البحرهادئاً بالغ الهدوء، ولكن ما تكاد تضع قدمها على سطح السفينة حتى تبدأ الزوبعة، بداية لا شك فيها. لقد

شاهدت ذلك يحدث في القناة الإنكليزية عشرات المرات، حتى إنني كثيراً ما تمنيت إني لم أحملها على تغيير عزمها والمجيء معي، حتى لتلك المسافة القصيرة. . . ما كان ينبغي أبداً أن أسمح لها بالمجيء في هذه الرحلة. . . كان ينبغي أن أحظر ذلك حظراً باتاً، من البداية. . . ولكنها كانت قلقة البال علي - فقد كنت مريضاً زمناً طويلاً، وأولئك الأطباء الملاعين قالوا أن رحلة بحرية طويلة هي الشيء الوحيد الذي يرد إليّ العافية - فألحت هي وأصرت. ولم أستطع منعها، فقد بدا كما لو كان من المحتم أن تجيء، وإن ارتاعت هي من ذلك، لو كنت تفهم ما أعني. . .)

وإذن فهذا هو السر! لا غرابة إذن أن تكون مرتاعة، حتى على أشد المياه ضحولة. تذكرت تلك السفينة الفاخرة في رحلتها البكر، وتذكرت اليدين اللاعبتين، والاصطدام المفاجئ الرهيب، والسكون الشامل، حين وصلتها رياح التدمير، ثم تذكرت الاضطراب والفوضى في الماء، والتلاقي الغريب الصامت في الدروب العميقة الخضراء بين الأمواج، حين ترنح القادرون على السباحة إلى أعلى وإلى أسفل، أو اصطدموا الواحد بالآخر كأنهم سدادات الفلين، ولكن لم يستطيعوا تخاطباً، إذ كانت أصواته قد ضاعت تحت صوت المحيط، فبدوا وكأن بعضهم لبعض عدو. . . إذن فهذا هو السر. . .! هذا هو معنى تينك العينين الواسعتين، كعيني تمثال في ضياء الشمس الباهر، ذلك هو المعنى المختفي تحت كلماتها العارضة، السخيفة الجادة معاً: (لن يستطيع ثعلب أن ينجو إلى الأبد، وإذا كانت كلاب الصيد تطارده). كلا، ولا الإنسان يستطيع النجاة، إذا كانت قطعان الشر والهلاك تصاحب مجيئه وذهابه.

في عصر ذلك اليوم وصلنا إلى ماديرا. فودعت المستر روفني وزوجته. وعلى رغم أنهما كانا مشغولين مع أهل الجزيرة الذين هاجموها يريدون أن يبيعوا لهما ما يحملون من الأقمشة المطرزة والزهور والنعال والصناديق المصنوعة من خشب النخل، ونماذج العربات التي تجرها الثيران، وملابس سكان الجزيرة - فأنهما لوحا لي بأيديهما - إذ غادرت السفينة في زورق إلى البر. ولاحظت مرة

أخرى خلو وجهها من التعبير خلواً عجيباً، وذلك شيء إن أنعمت النظر فيه تجلى لك رعب أشد من الرعب. ثم ظننت أنها نظرت إلى البر نظرة المتلهف المشتاق، ولكني كنت أبعد من أن أرى بوضوح... مهما يكن من الأمر فأنهما الآن سالمان، فإن بقية الرحلة، خصوصاً في هذا الوقت من السنة، هادئة في المنطقة الحارة، تتجلى فيها الحدائق العميقة الزرقاء المتألقة تحت المياه، وتقفز الأسماك الطائرة فوقهما كما تثب العصافير فوق أرض البستان.

مضى أسبوعان، قبل أن أقرأ في صحيفة هذا الخبر: (إعصار في المحيط الأطلنطي الجنوبي. أمواج المد تطغي على المدن الساحلية. باخرة بريطانية تغرق على مقربة من (ريك). غرق جميع المسافرين). وفي الحال تذكرت المسز روفني... إذن قد انتهى الأمر الآن... إنها كانت تنتمي إلى البحر بكيفية ما... ولا بد أن يستردها البحر إلى أحضانه. لقد كانت تعرف ذلك دائماً، وإن لم يستطع عقلها تصديق ذلك أحياناً. مهما يكن من شيء، فقد انتهى الأمر، كائناً ما كان مغزاه. انتهى طراد طويل، لا يستطيع المرء أن يتعرف على بدايته، أو لعله ليس إلا الفصل الأوسط في درامة تستغرق عدة قرون، أو عدة أحقاب... ساءلت نفسي: ترى كيف كانت هيئة ذلك الوجه الجميل في النهاية، وإلى أي حد جعلت صوتها هادئاً عملياً وهي تحدث زوجها للمرة الأخيرة، عارفة ما يخبئ لها القدر.. ولكن الواقع كثيراً ما يختلف عن النبوءة، وهذا ما حدث في هذه الأونة... فأنني عاودت قراءة الصحيفة، فقرأت في أخبار آخر ساعة: (إنقاذ أحد المسافرين. اتفاق غريب... المسز روفني التي أنقذت عصر أمس في حالة إنهاك، يتحقق أنها أحد الذين نجوا من التيتانيك، حين غرق أخوها التوأم مع تلك السفينة. ويخشى أن المستر روفني، المشهور في عالم الرياضة، وجميع المسافرين الآخرين والبحارة، قد غرقوا)... إذن فالبحر لم يستردها بعد، والثعلب قد نجى مرة أخرى، يا للمسكينة! لم يتم الفصل الأخير بعد.

لعلك تعتقد أنني من المؤمنين بالخرافات إذ أشعر بما أشعر

الأن؟ ولكن الحياة تبدو أقرب إلى الفهم حين يؤمن المرء بالخرافات. . . على أية حال، قد حدث ذلك منذ ثلاث عشرة سنة. . . وأستعيذ بالله، أنها فوق هذه السفينة، مسافرة إلى سيلان لترى أبنها. لقد تحدثت إليها هذا الصباح، هي كأنها لم تكبر يوماً واحد. ولكن ماذا ينبغي أن يفعل المرء: (أيجيب غريزة الإيمان بالخرافات أم يتحداها؟. . . إنني أجبن من أن أرتكب سخف مغادرة هذه السفينة من السويس).

توقف عن الحديث، واستغرق في الصمت والتفكير ولكنني جاهدت حتى نزلت إلى قاع السفينة، متشبثاً بكل ما وقعت عليه يدي حتى لا أفقد توازني، وهناك أرسلت رسالة برقية.

obeikandl.com

obeikandl.com

ملك الموت!

فيليب بنيث

كان يعيش في مدينة (جيستيان) من أعمال الصين، رجل يدعى (يوآن - كوانلو) وكان (يوآن) هذا رجلاً فقيراً معدماً، وكان فقره يحول بينه وبين الزواج من امرأة تقاسمه حلو الحياة ومرها. . .

وشاءت الظروف أن يعرف ابنة جارله، وأن يحبها وتحبه، وكان والدها من أثرياء البلدة ووجهائها فلم يكد يعرف ما بين ابنته وبين الفقير من حب وهيام، حتى ثار وغضب، ومنع ابنته عن الاتصال بحبيبها. فقالت الفتاة إنه لا يريدها على حرام، إنما يريد الزواج منها على سنة الله، فلم يزدد الأب إلا غضباً وثورة، إذ لم يكن يرغب في أن يزوج ابنته من رجل فقير ينغص حياتها ويشقيها، ومن كأس البؤس والحرمان يسقيها.

وصدمت الفتاة في حبها صدمة عنيفة، وطُعن قلبها الرقيق طعنة قاتلة، فأصابها السقام، ولم تلبث طويلاً حتى قضت نحبها.

ولم يكن حبيبها بأقل تأثراً منها بالصدمة، ولكنه كان أكثر احتمالاً لها، فظل هائماً على وجهه، مضطرب المشاعر، شارد اللب، شاخص البصر إلى الأفق كأنه ينتظر أن تعود حبيبته إليه!

وفي ساعة متأخرة من بعض الليالي، كان (يوآن) خارج منزله، ينظر بعينين حالمتين إلى بدر التم كأنما يسأله عن حبيبته، وطالت وقفته حتى كلت عيناه من النظر إلى القمر، وتعبت ساقاه من كثرة الوقوف، فدار على عقبيه ليعود إلى منزله. وبينما هو يدور في منعطف الطريق، رأى رجلاً غريب المنظر، عجيب المظهر يحمل في إحدى يديه منجلاً حاد الشفرة، وفي الأخرى قنينة محكمة السداد، ولأول وهلة عرف فيه يوآن ملك الموت الذي يقبض الأرواح ويحصدها بمنجله. فارتاع قلبه وارتعدت فرائصه، ولكنه

تمالك وتقدم من ملك الموت، وقال له بلهجة الصديق والودود:

- أظنك يا صاحب السعادة قد تأخرت في العمل وتعبت، والليلة باردة جداً، وبيتي على خطوات من هنا، فهلا جئت معي إليه؛ لتشرب شراباً ساخناً يعيد الدفء إليك؟

فنظر ملك الموت إلى (يوآن) بعينيه الغائرتين نظرة فاحصة ثم سار معه إلى بيته دون أن ينبس ببنت شفة.

وسخن يوآن شيئاً من الخمر، وقدمها إليه، فجرعها ملك الموت في دفعة واحدة، وطلب المزيد، تقدم إليه يوآن كأساً أخرى فشربها دفعة واحدة أيضاً، وهكذا ظل يطلب المزيد، ويوآن لا يستطيع أن يخالف له أمراً، أويرفض له طلباً، حتى ثمل، وأثقل السكر جفنيه، فانطرح على الأرض وغرق في سبات عميق

فقام (يوآن) بعد أن تأكد من استغراق ملك الموت في النوم إلى القنينة، وعالج سدادها حتى تمكن من فتحه، وكم كانت دهشته عظيمة وفرحته أعظم، حين خرجت روح حبيبته منها!

قالت له روح حبيبته: كبله يا حبيبي بالقيود حتى لا يتمكن منا ويحصد روحينا مرة أخرى.

فأسرع يوآن إلى ملك الموت بالسلاسل حتى شله عن كل حركة، وأسرعا بالفرار.

وظل العاشقان زمناً يعيشان معاً ويتناجيان، إلا أن يوآن ما كان ليستطيع رؤية حبيبته إلا كما يرى الإنسان ظله على الأرض وما كان ليستطيع أن يضمها إلى صدره إلا كما يضم الإنسان قبضة يده على الهواء. لهذا لم يستطع أن يطفئ جذوة الحب المتقدة بين جوانحه، أو يروي غليله بالضم والعناق.

وفي ذات يوم - قالت له روح حبيبته:

- آه لو ملكت جسداً، فأية سعادة كنت أتمتع بها إلى جانبك وبين ذراعيك... آه لو كنت أملك جسداً، لكنا تزوجنا، فأكون لك نعم الزوجة المخلصة، والحبيبة الوفية.

ثم قالت بعد تفكير طويل، والسعادة تملأ نبرات صوتها:

- اسمع يا حبيبي. في المدينة المجاورة بنت جميلة من بنات

الأمراء، مطروحة على فراش الموت. إنني أراها الآن وروحها تحشرج في صدرها وأهلها من حولها وقد ملأ الحزن قلوبهم، ستموت هذه الفتاة الجميلة بعد ساعات. فلو استطعت أن تأتيني بجسدها لاستطعنا أن نحقق أحلامنا وأمانينا ونقهر ملك الموت، سنتزوج وسنعيش في غنى وجاه وسعادة.

أسرع يوآن إلى بيت الفتاة، فوجدها قد ماتت منذ هنيهة. وأهلها لفرط حزنهم عليها يكادون أن يقتلوا أنفسهم، فانتهز يوآن هذه الفرصة، وتقدم من والد الفتاة، وقال له:

- في مقدوري يا سيدي أن أعيد الحياة إلى ابنتك.

فصاح الوالد بدهشة: وكيف تستطيع ذلك؟!

فقال يوآن:

- لا تسألني كيف. . . ولكنك إذا رضيت بالشرط الوحيد الذي أشرطه عليك، رددت الحياة إلى ابنتك.

فقال الأب متلهفاً: قل بالله عليك، ما هو هذا الشرط؟

فقال يوآن:

- هو أن تزوجني منها.

فقال الأب بفرح عظيم: هي لك فأحيها.

عندئذ نادى يوآن روح حبيبته، فجاءت وانسلت إليها من إحدى أذنيها، ففتحت الفتاة عينيها كأنها مستيقظة من النوم لا من الموت.

وزفت إليه في الحال، وانقلب المأتم إلى حفلة عرس بهيجة ويوآن يكاد يطير لشدة فرحه وسعادته بحبيبته وزوجته!

obeikandl.com

قوة الحب

فيرنيك مولنار

(حيث لا يوجد الذهب، يوجد ما هو أقوى منه ذلك هو الحب القوى الجارف الذي لا يقاوم)

أخذ الهواء يعبث بالدخان الذي يتصاعد من إحدى مداخن قصر الكونت (سكارلث) ولكن أحداً في الأرض الفسيحة لا يستطيع أن طهاة (الكونت) يعدون له طعام الإفطار في الساعة المبكرة، ولو تسنى لأحد من سكان هذه القرى التي بعثرت حولها قصور النبلاء أن يدرك حقيقة ما يحدث في قصر الكونت - لعرف أن هذا الدخان يتصاعد من معمل الكيماوي (كونارد سوبابولو) الذي يقيم في قصر الكونت منذ ثمانية عشر شهراً ليحول له الرصاص وغيره من المعادن الخسيسة ذهباً...

والواقع أن الكيميائي الكهل لم ينجح في تجربة واحدة من تجاربه العديدة على رغم ما أنفق من الجهد في هذا السبيل.

وكان يبعث بكل ما يصل إلى يده من أموال (الكونت) إلى زوجة قد أنكرها وطفل قيل له إنه ابنه...

وعندما أحس بأن (الكونت) قد أخذ يضيق بإقامته ونفقاته، أراه قطعة صغيرة من الذهب لم تتحول من الرصاص ولا من غيره، ولكن (الكونت) الشرير برغم درايته بكل وسائل الخداع لم يدرك أن قطعة الذهب وضعت خفية مع الرصاص الذي ترك يغلي على النار أمام عينيه طوال الليل.

إلا أن هذه القطعة الذهبية، قد فتحت ثغرة في حياة الكيميائي الكهل فإن (الكونت) قد اعتقد أن الرجل ليس جاهلا ولكنه لص يسرق الذهب الذي يستخرجه من الرصاص.

وقد أقسم له الكونت أنه إذا لم يقدم إليه في الصباح قطعة

كبيرة من الذهب الخالص فسيقوده بيده إلى أعلى برج في القصر ثم يقذف به إلى أرض الحديقة.

وكان (كونارد) يعرف أنه سيلقى حتفه في غده، فإن (الكونت) لا يحنث في يمينه. فقد أقسم من عام أن يقطع أذني خدمه وبر بقسمه، فأخذ الرجل ينتفض من الخوف، ومع هذا استيقظ مبكراً ووضع بعض الآنية على نار الموقد وهو يعلم أن لا شئ فيها غير بعض المعادن الخسيسة.

ودقت ساعة القصر الكبير السابعة، وعرف (كونارد) أنه من الموت على خمس ساعات، ولكنه كان متفائلا، وقبل أن يخفت رنين دقات الساعة فتح باب غرفته، وهال أن يرى الكونت العجوز بعظام وجهه البارزة يسد الباب بقامته الفارغة وسمع صوته الأجش يقول:

- أين الذهب الذي تستخرجه من الرصاص أيها اللص؟

وجثا (كونارد) بين يديه وهو يقول:

- لا شئ في البوتقة يا سيدي الكونت!

واصفر وجه العجوز ووثب إليه بسرعة، وأمسك بتلابيبه ليقتاده إلى البرج، ولكن الكيميائي قال هامساً:

- تمهل يا سيدي فإني لم أجد الذهب وإنما وجدت ما هو أغلى منه ثمناً.

فضحك (الكونت) ضحكة ساخرة وقال:

- وأي شئ هذا المعدن الجديد؟

- إنه ليس بالمعدن يا سيدي (الكونت) وإنما هو مركب كيميائي يحتوي على قوى الحب الذي لا يقاوم...

عندئذ تراخت قبضة (الكونت) عن عنق الرجل وقال:

- وهل أبتلع هذه الأكذوبة أيضاً كنا ابتلعت قصة الذهب ثمانية عشر شهراً أيها المحتال؟

وقال الكيميائي لنفسه: إن المتردد نصف المصدق.

فتنفس الصعداء وراح يتابع أكذوبته:

- ليست هذه أكذوبة بل هي حقيقة أعرف بها كيف أجعلك

تقهر قلوب النساء.

واتسعت حدقتا (الكونت) الهرم، فقد كان فيما مضى زير نساء شهير فلما تقدمت به السن ويبست سواعده وبرزت عظام وجهه دعته النساء الهيكل وأشحن بوجوههن عنه، وبدت على وجهه علائم السرور فتابع الكيميائي الكهل حديثه.

- لقد خلطت مسحوق الفضة بالرماد، ثم أضفت إلى المسحوق مواد خاصة أحتفظ بسرها.

فهب (الكونت) يسأله وهو يلهث:

- ثم ماذا؟

- لا شيء إلا أنني سأصنع لك من هذه المواد قطعة صغيرة من المعدن تثبت في مقبض سيفك، فإذا أردت أن تهاجم سيدة بغرامك وضعت يدك اليسرى على مقبض السيف فوق القطعة الفضية الداكنة وثق أنها لن تستطيع مقاومة نظراتك وستنصت من توها لغزلك.

فقال الكونت:

- وهل تثق بهذا؟

- كل الثقة، وأرجو أن تترك لي سيفك الليلة، وفي الصباح سيكون كل شيء وفق ما تريد، وسأترك لك تقدير المنحة التي تمنحني إياها.

واستفاضت الأنباء بقصة القطعة الفضية التي وضعت عند قبضة سيف (الكونت اسكارلت) لتمكنه من غزو قلوب النساء.

وقبل أن تمر ثلاثة أيام كان الكيميائي الكهل قد تلقى ثماني عشرة رسالة من النبلاء الذين يقيمون في المناطق المجاورة بدعوته إلى الإقامة في قصورهم ويعدونه المنح والهدايا لو باح لهم بسر قواه الجديد.

ولكن (سكارلت) كان أبسط يداً كما كان أضن بأن يترك (كونازلد) يبارح قصره.

وفي اليوم الرابع بدأ (الكونت سكارلت) أولى غزواته وقد تقلد السيف الذي يحمل القوى العجيبة... فتخير لغزوته قصر سيدة

صغيرة موسرة تعيش على مقربة منه وقد فشل أكثر من مرة في التقرب إليها. . . وكانت هذه النبيلة الحسناء تعيش عيشة البذخ تحيط بها اثنتان وثلاثون سيدة من وصيفات الشرف.

فبعث (الكونت) في الصباح الباكر إلى جاريته الحسناء ينبؤها بقدومه عند الظهر. . . وأثارت رسالته ضجة عالية، كانت (الثلاث والثلاثون) سيدة ينتظرنه وكل واحدة منهن تزعم لنفسها أنها أقوى من هذه القطعة الفضية التي وضعت عند مقبض السيف، ولكن سيدة القصر صرفتهن عندما دخل عليها (الكونت) وتقدمت إلى لقائه في البهو الكبير وقدمت إليه مقعداً وهي لا تعلم أن أربعاً وستين عيناً كانت ترقب كل حركاتها من وراء السجف.

واتكأت الحسناء على مقعدها، وكانت حتى تلك اللحظة تسخر من منظر (الكونت) الهرم وتضحك من عظام وجهه البارزة ولكنه عندما وضع سيفه بين ركبتيه على عادة الفرسان أخذت تحدق في السيف، فراعها مرآه، وخلبتها هذه الماسات الكبيرة التي زادها الضوء القليل سواداً.

ولم يفطن الكونت والحسناء الشابة أن اثنتين وثلاثين سيدة يراقبنهما، وقد قررن في أنفسهن أن (الكونت) يبدو مهيب الطلعة.

قال الكونت بثقة:

- إنه يوم جميل.

فقالت السيدة وهي لا تزال تنظر إلى القطعة الفضية ساخرة:

- أجل جميل.

ووضع (الكونت) يده اليسرى على القطعة الفضية وهو يقول:

- وهو دافئ أيضاً.

وأحست السيدة برعدة عابرة وتحركت السجف ودار همس خافت (لقد قبض بيده على القطعة الفضية)،

ولم ترفع الحسناء عينها عن يده، ولم تلق بالها لحديثه التافه ولكنها كانت تستشعر الخوف فلم تفطن إليه وهو يقترب منها حتى جلس بجوارها في المقعد الكبير وأخذ يقول:

- مم تخافين؟ مني. . . إنني أكن لك احتراماً منذ أمد بعيد. وكان

من الممكن أن تسمع السيدة الهمس وراء السجف فقد كانت اثنتان وثلاثون امرأة يتهامسن بعد أن قررن أن الرجل قد انتصر وأنهن يجب أن ينصرفن.

وأحست السيدة رهبة خفية عندما سمعت صوته يقول إنه يحبها منذ أمد بعيد فهمست:

- إن كنت تحبني فارفع يدك عن تلك القطعة الفضية التي تحلى مقبض سيفك.

فقهقه (الكونت) وهو يقول:

- محال!

وازداد تمسكا بقبضة سيفه.

وفي اللحظة التالية كان يطوق خصرها بيده اليمنى ويقبلها، وحاولت الحسناء أن تقف فلم تستطيع وسقط رأسها الجميل كزهرة يانعة فألصق شفتيه بشفتيها وراح يقول هامساً:

- إنني أحبك وسأقصر حياتي كلها عليك.

- وأنا كذلك سأظل لك...

ومضت عشرة أعوام كانت مليئة بنجاح غرامي متصل (للكونت سكارلت) لم يقطعه إلا الموت.

وانتقل الكيميائي الشيخ وقد أشرف على التسعين إلى منزل (البارون دويرون) وكان الكيميائي قد هده المرض العضال، ولكن البارون لم يطق صبراً، فقرر في نفسه خطة وذهب إلى الكيميائي المريض يسأله عن سر القوى؛ فقال إلا مريض بصوت خافت متهافت:

أقسم لك يا سيدي (البارون) أن المسألة خرافة؛ فليس هناك قوى سحرية ولا شبه ذلك، فالقطعة الفضية لا فرق بينها وبين حدوة الفرس.

إن سر المسألة: ثقة الرجل بنفسه، وهذه الثقة هي قوة الحب. ولا مخلص لامرأة حسناء من قبضة رجل يثق بنفسه، وإذا وثق الرجل بشيء وثقت المرأة به. إنك ستكذبني وستذهب إلى السيدة التي تريدها وأنت فاقد الثقة بقوتك الحقيقية، وهي القوة الكامنة

في عينيك ولسانك وشخصيتك فتفقد كل شيء، ولذا... ولم يكد يتم الكيميائي الشيخ حديثه حتى ضربه (البارون) بجمع يده على رأسه يريد أن يسخر منه.

ولكن الرجل قد مات والحقيقة على شفتيه لأن الناس دائماً لا يصدقون الحقيقة!.

obeikandl.com

قصة طفل

ديكنز

يحكي أنه منذ سنوات كان هناك مسافر، يقوم برحلة سحرية. فقد وجد عندما بدأ القيام بها، أنها تبدو طويلة جداً، وقصيرة جداً عندما وصل إلى منتصفها.

وسار في طريق حالك بعض الوقت دون أن يقابل أحداً. ثم التقى أخيراً بطفل جميل، فقال له (ماذا تفعل هنا؟ (فأجاب الطفل) أني دائماً في لهو ومرح، فتقدم وامرح معي!).

ولعب مع الطفل طول اليوم، وكانا سعيدين. كانت السماء زرقاء، والشمس مشرقة، والماء متألقاً، وأوراق الشجر مخضرة، والأزهار يانعة. واستمعا إلى تغريد الطيور، وشاهدا مختلف الفراش، وراقبا هطول المطر، واشتما الروائح الزكية. وكانا يسران من الاستماع إلى هبوب الرياح، ويتخيلان ما تهمس به، عندما تندفع مقبلة من موطنها. ويتساءلان في عجب عن أصل نشأتها، وهي تصفر وتزمجر، وتدفع بالسحب أمامها، وتحني الأشجار في طريقها، وتندفع خلال المداخن، وتهز الديار هزاً، وتثير غضب البحر فيهدر مزمجراً. وما أجمله مشهداً عندما يتساقط الجليد، فيتمتعان برؤية البرد النازل في سرعة وغزارة، وكأنه الزغب الساقط من صدور ملايين الطيور البيضاء. ويشاهدان تراكم الثلج الناعم، ويستمعان إلى الهمسات الصادرة من الدروب والطرقات. وكان لديهما العديد من أجمل الألعاب في العالم، وأغرب الكتب المصورة.

ولكن في ذات يوم، وعلى غير انتظار، تفقد المسافر الطفل فلم يجده. وناداه مرات ومرات دون أن يسمع مجيباً. فتابع سيره في طريقه، ومشى مدة من الزمن دون أن يقابل أحداً، حتى التقى

أخيراً بصبي حسن الطلعة، فقال له (ماذا تفعل هنا؟) فأجاب الصبي (إني أتعلم، هلم وتعلم معي).

وأخذ يتعلم مع الطفل عن جوبيتر، وجونو، والإغريق والرومان، وشتى مختلف العلوم. وكان لديهما بجانب ذلك أبهج أنواع الألعاب الرياضية. فكانا يجدفان في النهر صيفاً وينزلقان على الثلج شتاء، ويعدوان في نشاط، أو يمتطيان صهوات الجياد. وهكذا كانا يمارسان شتى أنواع الرياضة، حتى أصبحا لا يفوقهما أحد فيها. وكانت لهما حفلات للرقص، ومسارح يتمتعان فيها برؤية قصور من الذهب واللجين. وشاهدا كل عجائب العالم. وكان لديهما من عزيز الأصدقاء ما لا يعد ولا يحصى.

ومع ذلك، ففي ذات يوم افتقد المسافر الصبي مثلما افتقد الطفل وبعد أن ناداه دون جدوى تابع رحلته. وسار فترة من الزمن دون أن يشاهد أحداً، حتى التقى أخيراً بشاب، فسأله (ما الذي تفعله هنا؟) فأجاب الشاب (إني أعشق دائماً. أقبل واعشق معي).

وسار المسافر مع الشاب فالتقيا بفتاة من أجمل ما شاهد من الفتيات، ذات عينين نجلاوين، وشعر أثيث، وابتسامة خلابة ووجه مشرق. ووقع الرجل في حبها من النظرة الأولى. ومعذلك كانا يغضبان في بعض الأحيان، ويتشاجران، ويتخاصمان ويجلسان في الظلام يكتبان الرسائل كل يوم. ويختلسان النظر إلى بعضهما، ثم يصطلحان في حفلة عيد الميلاد، ويعتزمان الزواج في أقرب وقت.

ولكن المسافر تفقدها ذات يوم مثلما تفقد الشاب فلم يجدها، وبعد مناداته عليهما تابع رحلته. ومشى فترة من الزمن دون أن يرى أحدا، ثم التقى أخيراً بسيد متوسط العمر فقال له (ماذا تفعل هنا؟) فأجاب (إني مشغول دائماً. تعال واشتغل معي).

وهكذا تعددت مشاغله. وذهب مع السيد إلى الغابة. وأصبحا يرحلان إليها كثيراً. وكانت الغابة بادئ ذي بدء مكشوفة خضراء ثم أخذت تتكاثف وتظلم، وحاول لون أشجارها التي كان قد ألتقي بها مبكراً إلى لون قاتم. ولم يكن السيد وحيداً، بل كانت ترافقه سيدة في مثل عمره، وهي زوجته. وكان لهما أولاد أيضاً. وذهبوا جميعاً

يخترقون الغابة، ويقطعون الأشجار وينشئون دروبا بين الأفنان، ويعملون في حرارة.

وكان أحيانا يقابلهم طريق أخضر مكشوف في غابات كثيفة. ويستمعون إلى صوت على مقربة منهم يقول (أبتاه، أبتاه، أنا طفل آخر! انتظرني!) ثم يشاهدون شخصا صغيرا جدا ينمو ويكبر وهو مقبل يعدو ليلحق بهم، حتى إذا ما وصل، التفوا حوله، وقبلوه، ورحبوا به، ثم تابعوا سيرهم جميعا.

وكانوا أحيانا يلتقون بطرق مختلفة في وقت واحد فيقفون. ثم يقول أحد الأولاد (أبتاه إني ذاهب إلى البحر) ويقول الآخر (أبتاه، إني راحل إلى الهند)، والثالث (إني مسافر لأبحث عن الثروة أينما استطعت) ويقول الرابع (أبتاه، إني مرتفع إلى السماء!) وهكذا يفترقون وقد فاضت دموعهم في غزارة. ويذهبون، كل منهم في طريق من هذه الطرق. ويرتفع الطفل الصاعد إلى السماء، يرتفع في الهواء الذهبي، ثم يختفي.

وكان حينما يحدث مثل هذا الفراق، ينظر المسافر إلى السيد فيشاهده يتطلع إلى السماء فوق الأشجار، حيث يأخذ النهار في المضي، وتبدأ الشمس في الغروب. ويلاحظ شعره وقد اشتعل شيباً.

ثم ساروا يقطعون رحلتهم دون أن يستريحوا لحظة. فقد كان من الواجب عليهم أن يكونوا منشغلين. وهكذا أقبلوا على طريق أكثر حلكة من غيره، واندفعوا في رحلتهم، عندما وقفت السيدة وقالت (زوجي، أنهم ينادونني).

فأصغوا فاستمعوا إلى صوت آت من بعيد يقول (أماه، أماه!) كان صوت الطفل الأول الذي قال أنه صاعد إلى السماء. وقال الأب (لا تذهبي الآن، أرجوك، إننا على وشك الغروب، لا تذهبي الآن، أرجوك). ولكن الصوت نادى (أماه، أماه) دون أن يبالي به ولا بما أصبح عليه السيد من بياض الشعر وغزارة الدمع.

وعندئذ قبلت الأم زوجها وهي تبتعد عنه، وتنسحب في الطريق المظلم، وتحرك ذراعيها ولا يزالان ملتفتين حول عنقه. وقالت له

(يا أعز أعزائي، لقد نادوني، وها أنذا ذاهبة) ثم رحلت، وظل الزوج والمسافر وحيدين.

واستمرا في سيرهما حتى اقتربا من نهاية الغابة. فاستطاعا أن يشاهدا الشمس تغرب أمامها بأشعتها الحمراء خلال الأشجار.

وبينما كان المسافر يشق طريقه خلال الأفنان، إذ فقد الرجل. ونادى، ثم نادى دون مجيب. وأخيرا ساروحيدا حتى أقبل على رجل كهل جالس على شجرة ساقطة، فقال له (ماذا تفعل هنا؟) فأجاب الكهل في ابتسامة وديعة (إني أتذكر دائما. أقبل وتذكر معي!).

وهكذا جلس بجوار الكهل وجهاً لوجه يشاهد غروب الشمس الصافية وجعل يتذكر، فأقبل عليه أصدقاؤه عائدين في هدوء، ووقفوا وأحاطوا به. الطفل الجميل، والصبي الحسن الطلعة، والشاب العاشق، والأب والأم والأولاد. كانوا كلهم حوله. ولم يفقد منهم أحداً.

وهكذا أحبهم جميعاً، وكان رحيما رفيقاً بهم، ومسروراً بوجودهم. وكانوا يجلونه ويعشقونه.

وأظن أن هذا المسافر هو أنت يا جداه؛ لأن هذا هو ما فعلته بنا، وهذا ما فعلناه بك.

obeikandl.com

الخطاب
كولين هوارد

هتف الرجل الصغير قائلا وقد بدت على محياة دلائل الارتباك وهو واقف بجوار الصندوق - أني مسرور لرؤيتك ؟

فتوقف وتلقت إليه قائلا - مرحباً. . . السيد سيمسن، أليس كذلك؟

كان سيمسن وزوجه حديثي العهد بالحي، ولم أكن قابلتهما أنا وزوجي إلا مرة أو مرتين.

وأجابني سيمسن قائلا (أجل - هذا صحيح!) وكان يبدو أنه مسرور لتعرفي عليه سريعاً. واستطرد قائلا (أني لأتساءل: هل أستطيع أن تقرضني ثلاثة أنصاف من البنسات؟) فدفعت بيدي أبحث في جيبي، وأنا أسمعه يقول (إن زوجتي قد سلمتني هذا الخطاب لألقيه في صندوق البريد، ولكني لاحظت الآن فقط أن المظروف خال من طابع البريد).

قلت مرفها - خل عنك. . . فكثيراً ما يحدث ذلك.

قال يجب أن يسافر هذا الخطاب الليلة - لابد أن يسافر؟

ولا أظن أني سأجد مكتباً للبريد مفتوحاً في هذا الوقت المتأخر من الليل. أتظن ذلك؟

كانت الساعة قد أشرفت على الحادية عشرة، فأمنت على أقواله.

واستطرد يقول - لذلك فكرت أن أحصل على طابع بريد من هذه الآلة، عندما وجدت أني لا أحمل نقوداً صغيرة

فقلت له بعد أن بحثت في جيبي عبثاً - أني شديد الأسف. أخشى ألا يكون معي مثل هذه النقود.

فصدرت عنه آهة تدل على الأسف، قلت - لعل عابر سبيل

يمر. . . فقاطعني قائلا - لا يوجد أحد. . .

ونظرت إلى جهة من الطريق ونظر هو إلى الجهة الأخرى. ثم التفت إلى ناحيتي والتفت إلى ناحيته دون جدوى. وأخيراً هممت بالرحيل. ولكنه يبدو وحيداً مرتبكا وقد أمسك بيده مظروفا أزرق اللون فلم أقو في الواقع على تركه وهو في هذه الحال. فقلت له - دعني أخبرك ما الذي نفعله. من الأفضل أن ترافقني إلى داري. أنه على مقربة من هنا.

وسأحاول أن أحصل لك على نقود صغيرة.

فقال سيمسن - أنه للطف منك حقاً!

وفي الدار، استطعت بعد لأي أن أعثر على ثلاثة أنصاف من البنسات فأعطيتها إياه فأخذها مني شاكراً، ثم جعل يدون في مذكرته - بطريقة رجال الأعمال - قيمة القرض، ثم يعود إليّ. وقال لي - إني آسف لإزعاجك مرة أخرى. الحقيقة إني لا زلت غريباً عن هذا الحي، وهأنذا قد ضللت الطريق. لعلك ترشدني إلى مكتب البريد.

وحاولت إرشاده، وقضيت بعض الوقت أشرح له موقع المكتب دون جدوى. وأخيراً وجدت نفسي في حيرة كحيرته عندما صرح قائلا - أخشى أني لم أفهم. . . فقاطعته قائلا - من الأفضل أن أرافقك. فعاد يردد قائلا - إنه للطف كبير منك ؟

وسرنا في طريقنا حتى وصلنا إلى مكتب البريد. ووضع سيمسن قطعة من النقود في ثقب الآلة، فسقطت داخلها في صليل عال دون أن يظهر للطابع أي أثر. ونظر إليّ سيمسن نظرة حائرة وكأنه يتساءل ما الذي يستطيع عمله. فشرحت له قائلا (أن الآلة فارغة من الطوابع) فتأوه في أسف. اتضح لنا أن طوابع أنصاف البنسات قد نفد أيضا. ووقف سيمسن مضطرباً حائراً. وإذا بالمظروف يسقط منه ويقع على الأرض فاستعاده وقد تلوث بالوحل. وصاح في انفعال (انظر، لقد تلوث بالوحل!) ثم طرق على الآلة الفارغة في حنق وهو يقول (حسن، ما الذي نستطيع عمله الآن؟) فاستنتجت من سؤاله هذا أنه قد أشركني في حيرته، فسألته) أمن الضروري

أن يسافر هذا الخطاب الليلة؟). فأجاب (نعم! نعم إن زوجتي قد ألحت على أن ألقيه هذه الليلة. قالت ولكن من الأفضل أن ألقيه الليلة إذا كنت تعرف ما أعني).

وكنت أعرف ما يعنيه من قوله هذا، أو على الأقل أعرف زوجه مسز سيمسن. وتذكرت فجأة ما جعلني أقول له (أتعرف. أن عندي دفتر طوابع للبريد في داري!)

فقال في لهجة لا تخلو من التقريع (كان يجب أن تفكر في ذلك من قبل!).

فقلت (من الأفضل أن نسرع وإلا فاتنا موعد سفر الرسائل)

وأسرعنا الخطى، وكان هذا من حسن حظنا، لأنه أستغرق بحثنا مدة طويلة قبل أن نجد الدفتر وإذا به خال من طوابع البريد.

وجعل سيمسن يقلب الفكر وهو يقول (يا لخيبة الأمل!)

قلت (عجباً ؟ أكاد أقسم أن الدفتر كان ممتلئا بالطوابع!).

فسأل في حزن (ولكن. . . ماذا أفعل في خطابي؟).

قلت (سنضطر أن نلقبه دون طابع) وكان اهتمامي بذلك الخطاب قد بدأ يقل تدريجيا.

قال وقد عاوده الأمل (أوه - أأستطيع أن أفعل ذلك؟!)

قلت (ما الذي تستطيع عمله خلاف ذلك؟ كل ما هناك أن من يتسلم الخطاب يدفع ضعف قيمة إرساله في الصباح الباكر). قال (إني لا أود أن يحدث ذلك).

قلت (ولا أنا. ومع ذلك. فليكن. أنها متاعبه وليست متاعبنا. أسرع الآن وإلا فاتنا آخر موعد لاستلام البريد.)

وأسرع سيسمن في حماسة، فصحت به (انتظر. . . إن المكتب في الناحية الأخرى من الطريق).

فعاد وهو يلهث قائلا (آسف. أظن أني ضللت الطريق مرة أخرى).

ولم أحاول أن أشرح له ثانية، بل أمسكت بذراعه في قوة وقدته إلى مكتب البريد في اللحظة التي كاد يتم فيها استلام الرسائل - وكنت أعرف أني بمرافقتي إياه سأوفر على نفسي بعض الوقت - ثم

ألقى بخطابه بين الرسائل الأخرى، وأخيراً عدت به إلى داره.

وقال وهو يودعني: (أشكرك شكراً جزيلا على كل ما فعلته أني لا أتمالك من التفكير... ما الذي كنت أفعله بدونك؟..

أن ذلك الخطاب... أنه لا يحوي سوى دعوة للعشاء موجهة إلي... يا الهي!).

- ماذا... ما الأمر؟.

- لا شيء... لقد تذكرت أمراً...

- ما هو؟

ولكنه لم يفه بكلمة، بل اتسعت عيناه وهو يحدق فيّ طويلا؛ وأخيراً حياتي وأسرع إلى الداخل.

وعجبت وتساءلت وأنا أسير عائداً إلى داري ما الذي تذكره؟ ولكن... ما لبث أن زال عجبي في الصباح الباكر عندما دفعت لساعي البريد ثلاثة بنسات قيمة استلامي مظروفاً أزرق اللون بغير طابع.. قد تلوث بالوحل!!

obeikandl.com

الطالع

اندروز روبرتسن

قال له وهو يعد له طعام إفطاره - هذه رسالة لك.

- أشكرك ولكن ما الذي أعددته لي هذا الصباح؟

- كما ترى، بعض الكعيكات والبيض والخبز والشاي.

وجعل يتناول الطعام وهو يتساءل، من الذي بعث بهذه الرسالة؟ وتأمل الغلاف، لقد حول إليه من محل إقامته السابق. من الذي يراسله في هذه الساعة؟ لعله أحد الدائنين يطالبه بما له من مال. أن مثل هؤلاء لا يتركون الإنسان في راحة أبدا!

ولكنه كان قد عزم على أن لا يفسد عليه شيئاً لذة تناوله الطعام لكم تحسن الطهي عن أيامه السابقة. وتذكر، كان لا يعتقد أنه سيستسيغ هذا الطعام يوما مازولكن، كم كانت دهشته عندما وجد معدته قد تهيأت له واعتادت عليه.

وانتهى من طعامه، فقرر أن يقر الرسالة. ففض الغلاف وقرأ:

(سيدي الفاضل - أبعث إليك بطالعك كما أردت. وقد اختصرت من المصطلحات الفلكية قدر استطاعتي، وجعلت رسالتي قاصرة على مستقبلك.

(حقا إنك رجل مجدود. ذلك ما أثبته طالعك. وأود أن أقول أنه قل أن أجد مستقبلا باهرا بين من اكشف عن طالعهم مثل مستقبلك. فدعني أهنئك تهنئة حارة.

إني شديد الأسف لتأخري في الرد عليك. ولكن رسالتك كانت قد وصلتني متأخرة، ولعل ذلك يرجع إلى خطأ من البريد.

أخيرا دعني أشكر الفرصة التي واتتني لدراسة مستقبلك المخلص. . . أستاذ علم العرافة.)

كان قد انتهى من شرب قدح الشاي، فأشعل لفافة بعد أن

قدم غيرها لآخر، ثم جعل يقرأ طالعه وهو ينفث الدخان من صدره.

(أن تاريخ ميلادك وهو، 4 فبراير كما تقول رسالتك تدل على انك من مواليد برج (الدلو) تحت علامة (حامل الماء)، العلامة الحادية عشرة من منطقة الأبراج. وهي علامة تصاعدية ترمز إلى الجيل المقبل، الجيل العظيم.

(وأهم ما يميز مواليد هذا البرج أنهم لا يبالون بالتقاليد، بل كل همهم ينصب في البحث عن الحقائق. ولذلك تجدهم يتحلون بشجاعة لا نظير لها، وعقلية مرنة متزنة. ويميلون إلى العمل جماعة، وفي اتحاد متين.

(وهم مثاليون في علاقاتهم الغرامية، وأسخياء في حبهم، يجودون بكل شيء في سبيل ذلك الحب.

(ومواليد هذا البرج يفضلون العمال الذهنية ويبرزون في أعمال الجيش والحكومة. وهم معرضون للنقد، ولكنهم يواجهونه في شجاعة فائقة.)

(واكتفى من قراءة هذا القدر من الرسالة. ثم أعطاها إلى الآخر، فألقى عليها نظرة، وأخيرا أعادها إليه قائلا - إنها لا تفيدني في شيء، فأنا من مواليد شهر يوليو.

وتناول منه الرسالة وعاود القراءة) لقد اجتزت حياتك الأولى في مشقة. ويبدو أنك الآن في مركز حرج. ولكنك سرعان ما ستتغلب على المصاعب، وتبدأ في طلب ما تتمناه من الحياة. . .

(إنك تميل إلى الناحية العلمية. والعمل الجدي في هذه الناحية سيولد لك العجائب. لقد سبق لك أن فكرت في ذلك، واهتممت بالمخترعات. إن النجوم تشير إلى انك ستقوم باختراع ما، يغير من مستقبلك. وستأتيك الثروة بعد أن تجتاز الكثير من الصعاب. وسيأخذ منك اختراعك بعض الوقت. ولكنك ستصبر وتصبر لأنك تدرك بأنك ستصل حتما إلى ذروة المجد. وعندما تعتقد أنك فقدت الأمل ويتملكك اليأس ينقلب كل شيء انقلابا مفاجئا في صالحك، وعندئذ تقبل عليك الثروة، ويأتيك الجاه.

لقد شقيت كثيرا في حياتك الأولى، ولذلك ستحافظ على كل قرش تكسبه. وفي الحق، فإن المال يجلب المال. وستهتم بالناحية الصناعية اهتماماً يؤدي بك إلى أن تصبح ملك الصناعة.

أما عن حياتك الخاصة، فإن علامتك تدل على أنك في صحة جيدة. ولكنك في حاجة إلى الرياضة لتظل كما أنت. ولحسن الحظ يبدو انك تقوم بذلك عن طريق التعود. ولكن يجب أن توجه عنايتك إلى عينيك وعنقك وقدميك والدورة الدموية في جسمك. وستنتابك بعض السقام وسرعان ما ستتغلب عليها. وهناك من الدلائل ما يشير على أنك ستعيش عمراً مديداً.

(وأما عن حياتك الغرامية فإن النجم يشير إلى إنك ستتزوج خلال شهر يونيو، وهو الشهر المفضل لديك. أن حياتك الزوجية ستكون في مد وجزر، ولكنها - على أية حال - ستغمرك بالسعادة. والنجوم تشير أيضاً إلى أنك ستكون رب عائلة وستنجب ذرية - أربعة أولاد - سيكون لها شان كبير في الحياة. وستفتخر بك عائلتك، وستعيش زوجك من بعدك، ولكنك ستعيش حتى ترى ذريتك في أوج شبابها.

(وستسمع أثناء حياتك الطويلة عن حروب ولكنك لن تشترك وعائلتك فيها. وستتغير أحوال العالم الاقتصادية ولكنها لن تؤثر عليك.

(وعندما يحين الحين وتقابل باريك، فالنجوم تبين أن نهايتك ستكون نهاية هادئة. أن كل الدلائل تشير إلى أنك ستموت أثناء نومك.

(وأخيرا دعني أهنئك تهنئة حارة بحسن طالعك)

وانتهت الرسالة، وانتشرت على وجه قارئها ابتسامة فاترة. ثم أشعل لفافة أخرى، وأخيرا ناول الآخر الرسالة قائلا - ما رأيك في هذه الرسالة؟ فقرأها ثم أجاب - أنها مسلية للغاية!!

وما أن انتهى من كلامه حتى سمعنا صوت وقع أقدام تسير في الممر، ثم فتح الباب ودلف منه حاكم السجن ورئيس حراسة والطبيب والكاهن. وخاطب صاحب الرسالة قائلا - هل أنت على

استعداد للقيام بنزهتك الأخيرة؟

فأجابه وهو يرمقه بنظرة باردة عميقة من عينيه الزرقاوين نعم، إني على استعداد.

وسار وبجانبه حارسه الذي كان يلازمه في سجنه وقد أحاط بهما الركب حتى أدى بهما السير إلى فناء السجن في صباح يوم من شهر يونيو، واقتربوا من تلك المنصة الخشبية التي أقيمت عليها. . المشنقة؟

obeikandl.com

وحيدة
دوق آفنيل

كانت الحجرة الطويلة تلمع فيها الأضواء المنعكسة من زجاج النوافذ العالية، وضوء شمس الربيع الزاهية يلامس رؤوس المدعوين إلى حفل الزواج وقد انتشروا جماعات في اركان الحجرة.

وابتسمت السيدة تريل وهي واقفة وحدها على السلم الذي يفضى إلى تلك الحجرة. . . وتذكرت فجأة أشياء غريبة. . . فها هي حلقة جديدة من حياتها تبدأ اليوم.

لقد كان أول ما بدأت تلك الحياة تزوجت من ريتشارد، ثم لحقها تغير آخر حين مات زوجها بعد عشرين عاما. . والآن. ها هي ابنتها قد تزوجت، وقذفت الحياة أمها نحو مستقبل مجهول ولأول مرة ستغدو وحيدة.

ولقد حدثتها نان في ذلك قبل هذا بيومين وهي تحيطها بذراعيها وقالت: (أرجو أن تكوني بخير في وحدتك يا أماه. . لقد كنا معا دائما لمدة طويلة، أنا أعرف أنك ستفقدينني) فاتسمت السيدة تريل وقالت (لا تنزعجي يا نان، سأتغلب على هذا).

فقالت ابنتها: (في استطاعتك دائما الإقامة معنا أنا وتوم يا أماه) فاجابتها (سنرى ذلك)

ووقفت تراقب زوج ابنتها وهو ينتقل بين المدعوين.

ستغدو وحيدة، لا تطهي طعاما لأحد، ولا ترتب حجراتها لشخص ما، ستعود إلى منزلها في الغروب وتتناول عشاءها بمفردها. . وسيبقى الباب مغلقا حتى الصباح.

منذ عشر سنوات وهي لم تشعر بانفرادها ابدا، لقد كانت تحس بوجود نان بجانبها دائما، حتى وهي تحتسي القهوة مع صديقاتها أو وهي جالسة في ظلام دار السينما. لقد كانت فتاة طيبة، فحين

توفي والدها أصرت على أن تبحث عن عمل، وكانت حينئذ في الثانية عشرة من عمرها. وباجتهادها وتوفرها على عملها امكنها بعدسنتين ان تغدو سكرتيرة لرئيس العمل.

وبعد خمس سنوات تغيرت حال عائلة تريل فإذا هم يذهبون لقضاء أيام العطلات في وركواي وينزلون في الفنادق الفخمة ويقيمون حفلات الشاي والكوكتيل الأنيقة.

ولقد قالت السيدة تريل يوما لابنتها ثان (أليس من الأوفق يا عزيزتي أن نقيم في أماكن أقل تكاليف، فأنا أعتقد أن نقودك لن تحتمل كل هذا، وأنا لا أرغب في كل هذه الكماليات كما تعرفين).

ولكن نان ابتسمت وهو تقول (يجب أن نتمتع قليلا يا أماه. أني أوفر لك السعادة وما عليك إلا أن تستريحي وتتركي لي أنا التصرف في أمورنا المالية).

ولم تتناول السيدة تريل هذا الموضوع بالحديث ثانية. إن نان فتاة طيبة. إنها تتذكر حين كانت تصحبها وهي طفلة إلى شاطئ البحر. كان زوجها ريتشارد ما يزال على قيد الحياة حينئذ، كانتا تتمشيان على الشاطئ فتهمس إليهما الأمواج ويداعب الماء أقدامها، ويستمتعان بتلك الأنوار السحرية التي تلمع في أركان السماء الداكنة، ثم يقفان خلف المقاعد يستمعان إلى الموسيقى النحاسية تعزفها الفرقة العسكرية. . وكانا يحرصان خلال هذه الأيام على كل بنس يمتلكه.

ولكن نان بدلت من كل هذا، فلقد اصبح منزلهما أنيقا. وهي تذكر دائما كلما وضعت قبعتها ومعطفها صوت نان تسألها:

- (أخارجة أنت يا أماه)؟

- (نعم يا عزيزتي)

- (أتقصدين مكانا معينا)؟

- (كلا. . . سأتمشى قليلا في الحديقة).

- (سأصحبك. . فلا يجب أن تذهبي وحدك أبدا، وسنحتسي القهوة معا حين نعود).

وهكذا. . كانا يذهبان إلى كل مكاناً معا، وكانت تحرص نان على

ألا تكون والدتها وحيدة.

وسار الحال على هذا المنوال حتى العام الماضي، حينئذ ظهر اسم توم بيرنز في أحاديث نان، كان رئيسها، وهو شاب طويل أنيق ذو ابتسامة جذابة.

وأصبحت نان ترتدي ملابسها في أوقات الغروب وهي تقول لوالدتها:

- (أتسمحين لي بالخروج)؟

- (طبعاً). . .

- (أقصد أنك ستبقين بمفردك هذا المساء).

فتبتسم السيدة تريل لابنتها وهي تقول - (أنت فتاة طيبة يا نان. . اخرجي وتمتعي).

وحتى في هذه الأوقات وبالرغم من وجودها في المنزل بمفردها، كانت تشعر بوجود نان معها دائما، وكنت تعرف بأأن المفتاح سرعان ما يدور في ثقب الباب بعد الحادية عشرة بقليل. . وعليها أن تقوم بتحضير القهوة وترتيب البهو فربما جاء توم مع ابنتها.

ولقد كان توم فتى لطيفاً، وحينما طلب يد نان ابتسم في خجل وهو يقول:

- (أنا أعرف أنكما متلازمتان. . وأنا لا أرغب في أن تشعري بالوحدة حين تتزوج نان، وأرجو أن تعتقدي أننا نرحب بك للإقامة معنا دائما).

ولكن السيدة تريل كانت تخشى دائما التدخل في حياة أي فرد. إن الشابين الصغيرين سيرغبان في الانفراد، وعليهما أن ينعما بحياتهما الخاصة، لذلك قالت (سنرى ذلك يا توم).

والآن قد بدأت الحلقة الجديدة، وسيظهر أفق حديث في حياة السيدة بريل. وكانت ما زالت واقفة في مكانها على السلم وهي تبتسم لهذا الطوفان من الذكريات.

وتجمع الضيوف ولاحظت توم هو يشير إليها ويصيح بكلماته التي لا تسمعها وسط الضجيج، وبدأت تهبط السلم، ثم سلكت طريقها بين المزدحمين. كان شعورها يبعد بها عن الضجة والمرح

إن سعادتها يشوبها الجد وإحساس دقيق من الأسى لمرور الوقت وانتظاراً للحظة - الفاصلة -.

وأخذت ثان بيدها وهي تنظر إليها بعينين لا معتين ثم قالت:

- (الوداع يا أماه).

- (باركك الله يا ثان).

- (آه. . . يا أماه. . . أرجو ألا تشعري بالوحشة، بل يجب ألا تستسلمي لذلك الشعور).

- (الوداع يا عزيزتي ثان).

وفتح الباب فانتشر ضوء الشمس وتعالت الأصوات المرحة حول السيدة تريل الواقفة في هدوء على عتبة المكان وأشارت إليها نان بيدها وهي جالسة داخل السيارة. وضحك توم. .

ثم تحركت السيارة. . وزادت سرعتها حتى اختفت في منعطف الشارع.

وظلت السيدة تريل واقفة وقد غمرها شعور من الأسى ولم يقطع خيط تأملاتها سوى صوت يقول:

- (يا عزيزتي السيدة تريل. . كم ستفتقدين ثان!)

كانت جارتها في المنزل، فابتسمت قليلا ثم قالت في هدوء:

- (سيبدو الأمر غريبا بدونها)

- ستغدين وحيدة، لقد قضيت معها أوقاتا طيبة. أيام العطلات في توركواي. . مآدب العشاء في المنزل، كل هذه أشياء ستثيرك. . ومع هذا. . هل ستقيمين بمفردك؟)

فهزت السيدة تريل رأسها وهي تقول (أعتقد أنه يجب أن أسافر لبضعة أيام أولا. .)

وكانت ما زالت تبتسم في هدوء والسيارة تنقلها خلال الشوارع المزدحمة إلى منزلها.

هبت نسمة دافئة حين وصلت السيدة تريل إلى تلك البلدة على شاطئ البحر التي اعتادت أن تزورها وابنتها وزوجها حينما كان على قيد الحياة، وسارت السيدة تريل في بطء بمحاذاة الشاطئ، كانت الأضواء تتلاعب فوق رأسها، وجعلت تراقب الصيادين وهم

يقومون بعملهم. . وتمشت على الرمال. . . وكانت معالم الناس تختفي في ظلال الظلمة الهابطة. . وأحست بانفرادها لا يواجهها سوى البحر، وسرحت نظرها في الشاطئ من أوله إلى آخر ما يحده بصرها. .

كانت غارقة في ذكرياتها. . لطالما مرت بها كل هذه المناظر من قبل، وإذا بالماء يداعب قدميها، فتشعر بإحساس من الغبطة يملأ نفسها بالرغم من وحدتها).

obeikandl.com

obeikandl.com

الاعتزال!

هاتسفورد جونسون

غطت الآنسة (ويلدون) آلة الكاتبة بعد أن نال منها الملال وأدركها الكلال ثم ارتدت معطفها الخفيف الداكن اللون وألقت نظرة سريعة على المنضدة الكبيرة التي أمامها ثم أطفأت المصباح الصغير لتبارح مكان عملها.

كانت قد تأخرت عن موعد انصرافها من العمل كل ليلة، فكل الغرف قد أقفرت من شاغليها وأمست العمارة الكبيرة في صمت موحش، وسكون رهيب. . . ولكنها لم تكن في حاجة إلى الإسراع في العودة إلى منزلها الصغير، فليس هناك من ينتظرها. . .

وهذا العمل ينسيها إلى حد ما عزلتها الموحشة التي تعيش فيها فضلاً عن أن تأخرها يساعدها على أن تجد مقعداً في السيارة تستريح فيه من عناء يوم قضته في العمل بدون انقطاع ولا فتور.

كانت الآنسة (ويلدون) قد بلغت السادسة والثلاثين من عمرها. . . ولم تسعد بما تسميه الفتيات (اللحظة السعيدة)؛ فهي لم تحظ بزوج يخفف عنها أعباء الحياة، ولم تعرف رجلاً شريفاً يذهب بها إلى (دور السينما)، ولم يقدر لها قط أن تجد شاباً عند الباب ينتظرها ليتأبط ذراعها ويسير بها إلى حيث يعلم هو وحده. كانت قد سمعت بهذا كله همساً من الفتيات الكثيرات اللاتي عملت إلى جانبهن. . . ولكنها هي لم تعرف حقيقة المشاعر التي تجيء في ضوء هذه الحوادث. . . ومع ذلك فهي سعيدة بعملها سعيدة بغرفتها الصغيرة في (بيزووتر). وبذلك الطريق الهادئ الذي تقطعه على قدميها كل صباح وسط (كنجستون جاردتر)، فإذا أظلم الليل وعادت إلى غرفتها وجدت فرصة طيبة لتتناول كوباً من الشاي ثم لتأكل بعض البيض والجبن ثم تنصرف إلى المطالعة. . .

وتذكرت (الآنسة ويلدون) وهي تهبط الدرج إلى باب المنزل أن برنامج الإذاعة جميل، وعلى هذا فستستطيع أن تقضي بعض الوقت في سماع الموسيقى؛ وقد تستطيع بعد ذلك أن تضطجع في فراشها لتقرأ قصة من القصص العاطفية التي تدخرها للحظات العزلة.

وبلغت الآنسة (ويلدون) الطريق ولكنها وجدت ما أدهشها. . . فقد كانت السماء تمطر مطراً خيل إليها أنه يزداد لحظة بعد لحظة، وصدمتها هذه الحقيقة فهي لم تفكر في هذا المطر ولم تتوقعه. ثم إن معطفها الخفيف لا يمكن أن يرد عنها البرد وإن ردّ عنها قطرات المطر إلى حين، وضاقت بالمارة الكثيرين الذين يسرعون الخطى إلى محطة السيارات لأنها لن تجد المقعد الخالي الذي ترجو أن تستريح فيه. وإنه لا يبقى أمامها إلا أن تسير على قدميها مسافة لا تقل عن ميل حتى تصل إلى محطة المترو، وهي مسافة ليست قصيرة ولا يسيرة في هذا المطر الوابل.

ولكن الآنسة (ويلدون) تكره البقاء بلا عمل فجمعت أطراف معطفها حولها وراحت تجد في السير. . . وفجأة أحست يداً تلمس ذراعها فدارت على عقبيها لتجد نفسها أمام وجه باسم لرجل في قرابة الثلاثين من عمره. قطبت الآنسة (ويلدون) حاجبيها، فهي لا تعرف هذا العبث ولا تستمرئه، ولكن الرجل لم يلبث أن قال لها في هدوء:

- لا تسرعي هكذا، إن ثيابك مبللة. . خذي هذا.

ومد الرجل يده بمعطف من المعاطف التي تقي من المطر. . ودون أن تدرك ما تقول أجابت في همس:

- شكراً لك. . إنني راضية بهذا البلل. .

ولعلها كانت تريد أن تضع حداً لهذه القصة التي لا تسيغها ولا تريدها. . ولكن الرجل لم ينصرف بل قال:

- لا تكوني حمقاء. إنك تسيرين بنفسك إلى حتفك فهمست قائلة:

- ولو كان هذا حقاً فماذا فيه؟

فابتسم الرجل وهو يقول:

- ليس جميلاً أن يموت الإنسان في مثل هذا السن. تدثري بالمعطف، وأنقذي هذا الصدر الجميل.

وكان صوت الرجل قوياً يحمل على الطاعة، وكان جديداً على سمعها لم تعرفه من قبل، وهي إلى جانب هذا في حاجة إلى هذا المعطف، فلم تشعر إلا بالمعطف حول جسمها، فمدت ذراعها لتستكمل ارتداءه ثم ضمت أطرافه حول صدرها وهي تقول:

- ولكن ماذا تصنع أنت؟

- إن ثيابي غليظة، وأنا رجل.

- شكراً لك.

ولم تكن الآنسة (ويلدون) تعرف ما تقول، فهي لم تشعر قط بأنها كانت يوماً ما موضع عناية أو اهتمام من أحد، اللهم إلا مستر (بردفور) الشيخ الذي تعمل سكرتيرة له، ولكن شتان بين هذا وذاك! على أن الذي كان يشغلها هو ماذا يكون بعد هذا...

ولم تلبث الدهشة أن استولت عليها عندما سمعت الرجل يقول لها:

- هل تناولت الشاي؟

ولم تكن في الواقع قد تناولت شيئاً بعد الظهر ولهذا أجابت بسرعة: - لا...

ولعلها أحست في سؤال الرجل أنه يدعوها إلى قدح من الشاي؛ وهي وإن كانت حقاً في حاجة إلى شراب ساخن بعد أن بللها المطر إلا أنها لم تكن لها خبرة بمثل هذه الدعوات فاعتذرت شاكرة، ولكن الرجل تظاهر بأنه لم يسمع شيئاً وقال:

- هيا بنا، هناك مكان دافئ نجد فيه حاجتنا.

ولدهشة الآنسة (ويلدون) رأت نفسها تسير إلى جانب الرجل وقد تأبط ذراعها، وأحست بأصابعه تلامس صدرها. . ورأت كأنها تقرأ قصة من قصص الفراغ التي تدخرها لوقت النوم. وولجا الباب وأعجبها المكان كما لذها لدفء فلما انتحيا ركناً بجوار المدفأة قال الرجل وقد تهلل وجهه:

- الآن تستطيعين أن تخلعي المعطف حتى تجف ثيابك. ورجت هي أن تهنأ بلحظة سعيدة كهذه اللحظات التي سمعت عنها فأطاعت الرجل وراحت تحتسي الشاي في سكون.

ومرت اللحظات في أحاديث عن الجو والرياضة، وفجأة نظر الرجل في ساعته ثم قال:

- يا إلهي! لقد كدت أنسى أن أمي دعتني إلى العشاء هذه الليلة. لقد أعدت لي دجاجة كبيرة. . . إنني أتركك الآن؛ ولكن لا تسرعي في الخروج فسأدفع للساقي ثمن الشاي.

- ولكن كيف أرد إليك معطفك؟ وكانت وهي تقول ذلك تأمل أن يتفقا على موعد لعله يكون في الغد. وضحك الرجل ضحكة مرحة ثم قال:

لقد نسيت هذا. . . على أية حال هذه بطاقتي إذا شئت أن تتحدثي إلي في أمر المعطف. ومد الرجل يده بالبطاقة ثم انصرف. وظلت الآنسة (ويلدون) برهة في شبه حلم، فقد كان الحادث كله غريباً لم تألفه، وكان كل ما مر بها منذ أن تركت مكان عملها يرغمها على أن تفكر في أشياء لم تكن لتتوقع حدوثها قط.

وألقت نظرة خاطفة على البطاقة فقرأت فيها:

(جون برونت) وكيل شركة المعاطف الواقية من المطر. ولقيت في طرف البطاقة إشارة تلفت النظر إلى ما خط في ظاهر البطاقة، فلما قلبت البطاقة قرأت ما يأتي:

(إذا أعجبك هذا المعطف فأرسلي لنا جنيهاً وعشرة شلنات وإلا فاتصلي بنا تلفونياً فنرسل إليك من يتسلمه منك).

وبذلك تبددت أحلا الآنسة (ويلدون) ومرت بها قصة عاطفية قصيرة كلفتها جنيهاً وعشرة شلنات ولكنها أبقت لديها أثراً لها هو معطف جديد للمطر. . .

وهكذا انصرفت الآنسة (ويلدون) عن الناس وآثرت أن تعيش على هامش الحياة.

أغنية الدير
وليام كانتون

هبط جون أوف فولد إلى هيثهولم - لأول مرة - رئيساً للدير هناك وفي صحبته شتى المؤلفات النادرة الأنيقة في الفلسفة والدين والأدب، مغلفة في جلد ثمين موشى بالذهب والفضة ثم الملابس الغالية الطريفة من الحرير والمخمل؛ وعباءات من الكتان الجميل، دقيقة الصنع، وقلانس محلاة بالعسجد، أشياء تنبئ عن نعمة وترف...

وراح القس الجديد ينفث من روحه التواقة الصافية في جنبات الدير، فوضع في نوافذ الناحية الغربية التي يسكنها هو أصصا من البلور بها طاقات من شتى ألوان الزهور الناضرة. وزين حجرة سانت إيجون بالأصص المرصعة باليواقيت، فيها فنون وفنون من الزهر الصناعي؛ وفي سماء الحجرة طير من لجين تبدو كأنها محلقة في سماء الأرض تهفو نحو هذه الطاقات وتحوم حولها؛ ثم أمر فصففت المناضد والكراسي الخشبية الجميلة في حديقة الدير ليجلس عليها الموسيقيون كل صباح وكل مساء، يعزفون ويرتلون الأناشيد الدينية الشجية... لقد كان الأب جون يفور نشاطاً وقوة، في روحه الصفاء والجمال، وفي قلبه الإيمان واليقين؛ فأراد أن يبعث في الدير روح الجنة ليستروح هو وإخوانه من الرهبان نسمات الخلد من هذه الناحية النائية من الأرض...

وبذ هذا الدير غيره جمالا وروعة وبهاء.

وكان الأب توماس وكيل الرئيس يرى ما يفعله الأب جون وفي قلبه الاضطراب والأسى، وفي نفسه الغيظ والحنق؛ وكان يجلس إلى نفسه بين الحين والحين يحدثها: حقاً، إن هذه الأشياء لا تعني الرب، وهي تبعث في العين السرور والبهجة، وتدخل إلى

القلب اللذة والطرب، وتنفث في الحياة المتعة والجمال! ماذا تفيد هذه الكنوز الغالية، والطرف الجميلة، والآثار النادرة؛ وهي تجذب القلب عن العبادة، وتورث في النفس حب الحياة وحب الاستمتاع؟ ما للراهب ولهذه الأشياء وهو يريد وجه ربه مخلصاً له؟ هذا بعض عبث الشيوخ وحرفهم حين يسيطرون على بيوت الله، يجمعون شتى الطيبات، وألوان الملذات، فتلهيهم عن ذكر الله وعن الصلاة؛ وعن أناس يبيتون في العراء حفاة عراة، ويتضورون جوعاً، لا يجدون مأوى، ولا يجدون كساء ولا طعاماً، ليت هذا الشيخ الغفل ينظر بعين القس الورع إلى ما يقاسيه الفقراء وذوو الحاجة فيخفف من غلوائه، وينزع عنه بعض حماقاته!..

وفي الحق لم يكن توماس ليستشعر في نفسه الأسى والألم لما يقاسيه بعض الناس من فاقة وعوز، ولم تكن في قلبه الرحمة والشفقة؛ ولكنه كان يحس ألم الحقد والحسد يتنزى في صدره كلما وقعت عينيه على ما أنتثر هنا وهناك في نواحي الدير منذ هبط الكاهن الأعظم جون.

لقد كان توماس على غير ما كان عليه رفاقه: كان رجلا فيه الكآبة والعبوس، فكان الرهبان والقسس يعبدون الله مخلصين وفي قلوب الطرب والسرور. وفي قلبه هو التجهم والحقد؛ في أرواحهم اللذة والقناعة، وفي روحه هو الجفاف والغلظة؛ وفي أنفسهم الرضا والاطمئنان، وفي نفسه التقلقل والاضطراب. ثم هم يرون في أرض الله مسرحاً للعين والقلب والنفس جميعاً، وهو في منأى عنهم قد شغلته فكرة تضطرب في رأسه.

واعتاد الأب توماس أن يدلف إلى المعبد كل مساء وفي يده مصباحه، وقد أرخى الليل أستاره، ونامت الحياة في كل حي، يتهجد ويتعبد، ساجداً راكعاً، قارئاً مرتلا؛ يناجي ربه في هدأة الليل وسكونه، يسأله ويستغفره، فما يبرح حتى تخونه قوته، ويهن عزمه، وتضطرب مفاصله، من أثر الاندفاع والبرد في وقت معاً؛ فيرتد إلى حجرته يتكفا في طريقه..

وانطلق - ذات مرة - إلى حيث ينطلق كل ليلة، وقد تأججت في

نفسه ثورة الحقد على رئيسه جياشة مضطرمة، تكاد تعصف بإيمانه وعقيدته.. انطلق والبرد يزلزل أعصابه ويتغلغل في أوصاله وهو في طريقه لا يتململ ولا يعبأ. وسجد في محرابه... غير أن صوتاً موسيقياً عذباً هادئاً رن في مسمعيه فنزعه من أخيلته، فأنصت يتسمع... ثم استوى جالساً، وحدق فيما حوله يريد أن يستشف أمراً، وبدت عليه الدهشة حين رأى ضوءاً خافتاً يضطرب في أرجاء الدير يزداد سطوعه رويداً رويداً، وتعلو معه نغمات الموسيقى فتزداد حلاوة ووضوحاً.

ورنت الموسيقى الإلهية في جنبات المعبد، وارتفعت الأصوات الملائكية تنشد نشيداً عذباً يرقق القلب، ويبعث فيه الروعة والجلال وخيل إليه أن الرسوم والأحجار والسقف والحوائط.. جميعاً تردد هذا النشيد في رنات سماوية وأحس بالناي الإلهي تحت ركبتيه تنبعث منها أهازيج يطرب لها الفؤاد وتهتز النفس.

واستولت على الراهب الحيرة فما استطاع أن يبرح مكانه... ثم أرهف سمعه فإذا الصوت ينبعث من ناحية المحراب أولا ثم يمسك، فيندفع كل ما حوله يرتلون الأنشودة في صوت فيه السحر والجمال، وترتفع رنات الموسيقى لتزيد النشيد طلاوة وحلاوة، وبدا له المكان يهتز طرباً كأنه يرقص مع النغم الشجي المنبعث من هنا ومن هناك.

وتراءت له صور الملائك تضطرب في هذا الضوء الإلهي الساطع، وفي أيديهم المعازف، وخيل إليه أن هذه الأشباح رسوم صورها له خياله فحسب، فانتفض من مكانه يحدق ذات اليمين وذات الشمال، ويتحسس بيديه نواحي المكان، وحين بدا له أن ما يرى حقاً لا مرية فيه، اضطرب، وزالت عنه شجاعته، وجمد في مكانه وقد سيطر عليه الفزع والخوف، غير أن صوتاً لذيذاً رن في مسمعيه يطمئن نفسه:

نحن الملائك نبتهل إليك يا رب

نحن الملائك نبتهل إليك يا رب

وأجال بصره فرأى على جانبي المحراب ملكين يترنمان: على مر

الأيام والليالي ونحن نسبح بحمدك يا رب ونقدس اسمك العظيم يا رب، ما دام هذا الكون اللانهائي. ومن بين شفتيهما يتصاعد النفس فينعقد سحباً كثيفة بيضاء في أعلى المكان، فاستشعر في نفسه الخور والضعف غير أن حب الاستطلاع دفعه إلى المحراب ليرى...

واستطاع أن يرى رسوم الملائك والملوك على أستار المعبد تردد هي أيضاً هذه الأغنية.

والصور على زجاج النوافذ ترتل هي أيضاً الأغنية ورؤوس الملائكة المنحوتة في رخام المعبد ترتل الأغنية والأسد والدواب المرسومة هنا وهاهنا ترتل هي الأخرى الأغنية.

وتماثيل القديسين المنثورة في نواحي المكان ترتل هي أيضاً الأغنية.

والرسوم على الجدران ترتل أيضاً الأغنية.

وبدا له أن كلمات هذه الأغنية قد رسمت بحروف من ذهب يتوهج فيخطف البصر. على دروع الملوك والأمراء وذوي الجاه في سقف المعبد؛ والجميع يهزجون ويهتزون من فرح ومن سرور كأنهم أحياء، وتصاعدت أنفاسهم إلى سماء المعبد، سحبا تغطي السقف وتحيط بالأعمدة، ثم أمسك الجميع سوى رنات الناقوس العظيم في أعلى المحراب

وملأ مسمعي توماس صوت يردد الأغنية خارج المعبد في نبرات أخاذة شجية، يخترق سكون الليل وظلامه ليستقر في أذنيه هو. إنه... إنه منبعث من حجرة التماثيل، حيث الملوك والملكات، حيث الأمراء والعظماء، حيث الكهنة والشهداء، حيث القسس والرهبان؛ قد صففت تماثيلهم الفضية والبرنزية والرخامية والحجرية، لقد أجابوا جميعاً دعوة الداعي فانطلقوا يترنمون بالأغنية الإلهية في طرب ولذة... وهدأت الموسيقى خارج المعبد لتبدأ مرة أخرى داخله، ثم... ثم اندفعوا جميعاً بصوت فيه العذوبة والحلاوة يرددون:

على مر الأيام والليالي ونحن نسبح بحمدك يا رب، ونقدس

اسمك العظيم يا رب؛ ما دام هذا الكون اللانهائي واصطرعت في رأس توماس فكرة أفكار متناقضة فما استطاع سوى أن يرفع عقيرته:

يا إلهي، فليشملنا عفوك وغفرانك؛

فليشملنا عفوك وغفرانك يا إلهي!

ثم تراخت قوته فانطرح على الأرض ذاهلا...

وأفاق فما وجد إلا الظلام يشمل الأرض، وإلا السكون يسيطر على الكون، وإلا مصباحه الضئيل يضطرب في ناحية من المعبد.. فارتد إلى حجرته وقد آلمه ما نازعته إليه نفسه من حقد على عبد من عباد الله الصالحين، حباه الله بفضل من لدنه، فبذل فضل جهده في العناية بمخلوقاته الخرساء الصماء، وفي تنسيق قطعة من أرض الله لتكون جنة الله على أرضه، ونزع ما في صدره من غل، فأيقن أنه إن لها الإنسان عن ذكر ربه ففي الكون مخلوقات ما تفتأ تردد ما دامت السموات والأرض:

... نحن نسبح بحمدك يا رب،

ونقدس اسمك العظيم يا رب؛ مادام هذا الكون اللانهائي.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

مقدمة.....ص3
كناريموت.....وج لونج ص17
دفاع الشيخ عن عرضه.... سيرجون وارد...ص19
مغامرات ممثل جوال .....كوند سمث....ص23
البجعة .....بامبلا.هـ جونسون.....33
الصديق الصدوق.....أوسكار وايلد.....ص41
زوج آخر ساعة.....ريس ديفز.....ص53
صائدة النمور.....ساكي.....ص65
ذهب آل هوهنزلرن.....س.فورستر.....ص71
الوحدة والجريمة...لورد لبتون.....ص81
مطاردة...سومرست موم.....ص91
قدح من الشاي .....كاترين مانسفيلد.....ص103
لا قدرالله..... أوسبرت سيتويل.....ص111
ملك الموت.....فيليب بنيث.....ص121
قوة الحب .....فيرنيك مولنار.....ص125
قصة طفل.....ديكنز.....ص131
الخطاب.....كولين هوارد.....ص135
الطالع.....اندروزروبرتس.....ص139
وحيدة .... دوق آفنيل.....ص143
الاعتزال.....هاتسفورد جونسون.....ص149
أغنية الدير..... وليام كانتون.....ص153